ارشاد رسولي

في

الحياة المكرّسة

VITA CONSECRATA

لقداسة البابا

يوحنا بولس الثاني

إلى المصف الأسقفي والإكليروس

والجمعيات الرهبانية

وجماعات الحياة الرسولية

وجميع المؤمنين

مقدمة

1- الحياة المكرّسة، الناشبة في عمق سيرة السيد المسيح وتعليمه، هي هبة من الله إلى كنيسته عبر الروح. بفضل اعتناق المشورات الإنجيلية، تصبح ملامح يسوع المميّزة – العفّة والفقر والطاعة – "مرئية" وسط العالم، بوجه مثالي ودائم، تلفت أنظار المؤمنين وتدعوهم إلى الرجوع إلى سرّ ملكوت الله الذي يعمل منذ الآن في التاريخ بانتظار أن يكتسب ملء حجمه في السماوات.

لقد هبَّ دوماً، على مرّ الأجيال، رجال ونساء أسلسوا لنداء الآب وحفز الروح، فاختاروا طريقة خاصة في "**اتباع المسيح**" وبذل ذواتهم للرب بقلبٍ "غير منازع" (1 قور 34/7). لقد تركوا، هم أيضاً، كل شيء على مثال الرسل، ليقيموا معه، ويتطوّعوا مثله لخدمة الله وإخوانهم. وهكذا ساهموا في إعلان سرّ الكنيسة ورسالتها بما أولاهم الروح القدس من مواهب الحياة الروحية والرسولية، وشاركوا أيضاً، بالفعل ذاته، في تجديد المجتمع.

حمد الله على الحياة المكرّسة

2- دور الحياة المكرّسة في الكنيسة هو من الأهميّة بحيث قرَّرتُ الدعوة إلى عقد سينودس لاستقصاء معانيها وتوجهاتها المستقبلية، تأهباً للألف الثالث الذي أضحى على الأبواب. ولقد رغبتُ في أن يشارك في أعمال هذه الجمعية السينودسية، إلى جانب الآباء، عدد وافر من الأشخاص المكرَّسين، لكي تغتني الأبحاث الجماعية بمساهمتهم.

كلّنا نعي مدى الثروة التي تستمدُّها الأسرة الكنسية من الحياة المكرّسة بكل ما تحتويه من مواهب ومؤسسات متنوّعة. فشكراً لله معاً لما هنالك من رهبانيات ومؤسسات تتفرّغ للتأمل وأعمال الرسالة، ومن جمعيات الحياة الرسولية والمؤسسات العلمانية والجماعات الأخرى المكرّسة ولكل الذين، في سرّ قلبهم، يقدِّمون ذواتهم لله بتكرّس خاصّ.

لقد استطعنا أن نلمس لمس اليد، أثناء السينودس، انتشار الحياة المكرّسة على مدى العالم كله، وانخراطها في الكنائس في كل بقعة من الأرض. هذه الحياة تحفز وتواكب نموّ البشارة في نختلق أصقاع العالم حيث لا يُقتَصر على الاستعانة، بشكرٍ، بالرهبانيات الوافدة من الخارج، بل حيث تنشأ مؤسسات رهبانية أخرى على جانب كبير من التنوّع في الأشكال والتعابير.

لئن كانت مؤسسات الحياة الرهبانية في بعض أنحاء الأرض تجتاز، على ما يبدو، فترة عصيبة، إلاّ أنها، في مناطق أخرى، تنمو بقوّة عجيبة؛ وفي ذلك دليل على أنّ تقدمة الذات كاملة لله في المسيح لا تنافي ما ينعم به كل شعب من حضارة وتاريخ. هذا الازدهار لا يمتُّ إلى الكنيسة الكاثوليكية وحسب بل هو من المزايا الوهاجة والملامح

الجوهريّة للحياة التوحدية في الكنائس الأرثوذكسية. هذا الازدهار الرهباني بدأ يولد أو يولد ثانية في الكنائس والجماعات الكنسية المتفرّعة من حركة الإصلاح، وذلك دليل نعمة مشتركة بين تلاميذ المسيح. هذه الظاهرة تعطي دفعاً للحركة المسكونية، وتنمّي الرغبة في مزيد من الشركة بين المسيحيين "ليؤمن العالم" (يو 21/17).

الحياة المكرّسة، هبة للكنيسة

3- انتشار الحياة المكرّسة في العالم كله، والطابع الإنجيلي الملتصق بشهادتها، يُظهران جلياً، لو اقتضى الأمر، أنها **ليست حقيقة معزولة وهامشية**، بل هي من مهامّ الكنيسة كلها. ولقد قرّر الأساقفة ذلك مراراً في السينودس: "تلك مسألة تهمنا"[1]. والواقع أن **الحياة المكرّسة تقع في قلب الكنيسة**، وهي جزء لا يتجزأ من رسالتها، وذلك بأنها تجعلنا نفهم الدعوة المسيحية في صميم طبيعتها"[2]، "وتوقَ الكنيسة – العروس كلّها إلى الاتحاد بعريسها الأوحد"[3]. وقد تردّد القول مراراً، في السينودس، إن الحياة المكرّسة لم تُحصر في مهمة العون والدعم للكنيسة في الماضي وحسب، بل إنها لا تزال هبة نفسية وضرورية لشعب الله اليوم وغداً، وذلك بأنها تمتُّ، بطريقة حميمة، إلى حياته وقداسته ورسالته[4].

المصاعب التي يواجهها اليوم عدد من المؤسسات الرهبانية في غير منطقة من العالم، يجب ألاّ تحملنا على التشكيك في أن اعتناق المشورات الإنجيلية إنما **هو جزء لا يتجزأ من حياة الكنيسة** التي تستمدّ منها عزماً قوياً لمزيد من التحصّن الإنجيلي[5]. قد نصادف، عبر التاريخ، أشكالاً مختلفة في ممارسة الحياة المكرّسة، ولكن من غير تبديل في جوهر خيارٍ يتترجم في مطلقية تقدمة الذات حباً بالرب يسوع، ومن خلاله، بكل عضوٍ في الأسرة البشرية. ولا يزال **الشعب المسيحي يحتفظ بهذا اليقين** الذي أنعش عدداً غفيراً من الناس عبر الأجيال. ويعلم الشعب المسيحي أيضاً علم اليقين أنه يستطيع أن يتلقّى من مساهمة تلك النفوس السخيّة أقوى دعم في مسيرته إلى الوطن السماوي.

قطف ثمار السينودس

---

[1] التوصية 2

[2] المجمع الفاتيكاني الثاني، **نشاط الكنيسة الإرسالي**، فقرة 18.

[3] المجمع الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 44؛ بولس السادس، الإرشاد الرسولي في الشهادة الإنجيلية (29 حزيران 1971)، فقرة 7: أعمال الكرسي الرسولي 63 (1971)، ص 501-502؛ الإرشاد الرسولي: **بشارة الإنجيل** (8 كانون الأول 1975)، فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 68 (1976)، ص 59.

[4] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 44.

[5] يوحنا بولس الثاني، خطابه في الجمعية العمومية (28 أيلول 1994) فقرة 5: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 928-929.

4- استجابة مني للرغبة التي أعربت عنها الجمعية العمومية العادية لسينودس الأساقفة التي انعقدت لتعالج موضوع "الحياة المكرّسة ورسالتها في الكنيسة وفي العالم"، أرى أن أعرض في هذا الإرشاد الرسولي ثمار المسعى السينودسي[6]، وأبيّن لجميع المؤمنين، أساقفةً وكهنةً وشمامسةَ إنجيليين وأشخاصاً مكرسين وعلمانيين ولكل الذين يودّون أن يولوا هذا الموضوع اهتمامهم، العجائب التي يريد الرب أن يحققها اليوم أيضاً بواسطة الحياة المكرّسة.

هذا السينودس الذي يعقب السينودسين لأجل العلمانيين ولأجل الكهنة يكمّل البحث المنهجي في المعطيات الخاصة التي تميّز الأحوال الحياتية التي أرادها الرب يسوع للكنيسة. لا شك أن المجمع الفاتيكاني الثاني قد نوّه بعظمة وحقيقة الشركة الكنسية حيث تتلاقى كل المواهب لأجل بنيان جسد المسيح ورسالة الكنيسة في العالم، خلال هذه السنوات الاخيرة؛ إلاّ أنه بدا لنا من الضروري أن نتوسَّع في شرح **مختلف الأحوال الحياتية هوية** ودعوة ورسالة مميّزة في الكنيسة.

ولا غرو، فالشركة في الكنيسة ليست رتابةً بل هي عطيّة من الروح تمرّ من خلال المواهب والأحوال الحياتية على أنواعها. وهذه المواهب والأحوال تزداد فائدتها للكنيسة ولرسالتها بمقدار ما تُحْتَرَم هويتها. والواقع أن كل عطية يمنحها الروح يجب أن تُستثمرَ لأجل الرب[7] في تطوّر الأخوّة وتقدّم الرسالة.

أعمال الروح في مختلف أشكال الحياة المكرسة

5- كيف لا نذكر مع الشكر ما بعثه الروح، **عبر التاريخ، وما لا يزال قائماً حتى اليوم في النسيج الكنسي من أشكال كثيرة للحياة المكرّسة؛** هذه الأشكال هي أشبه بنبتة متعدّدة الفروع[8]، تضرب جذورها في الإنجيل وتؤتي ثماراً وافرة على مدى أجيال الكنيسة. يا لها من ثروة خارقة! لقد أوجستُ، أنا نفسي، في ختام السينودس، ضرورة التنويه باستمرارية هذا العنصر في تاريخ الكنيسة، وبمواكب المؤسِسين والمؤسِسات، والقديسين والقديسات الذين اختاروا المسيح في مطلقية الإنجيل وخدمة إخوتهم، وبخاصة المعدومين والمهملين[9]. هذه الخدمة تُظهر جلياً إلى أي حد تتجلّى في الحياة المكرسة **وحدة وصية المحبة،** والرابط الوثيق بين محبة الله ومحبة القريب.

---

[6] التوصية 1.

[7] القديس فرنسيس السالزي، مدخل إلى الحياة الورعة، الجزء الأول، الفصل 3، الآثار، مكتبة البلياد، باريس (1969)، ص 36-37.

[8] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 43.

[9] يوحنا بولس الثاني، العظة التي ألقاها في القداس الاحتفالي المشترك، في ختام الجمعية العمومية العادية التاسعة لسينودس الأساقفة (29 تشرين الأول 1994)، فقرة 3: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 580.

كيف ذكر السينودس هذا العمل المستمر للروح القدس الذي يغدق، عبر الأجيال، الثروات النابعة من ممارسة المشورات الإنجيلية، بفضل المواهب المتعددة، والذي يضمن استمرارية المسيح في الكنيسة وفي العالم، عبر الزمان والمكان.

الحياة الرهبانية في الشرق وفي الغرب

6- الآباء السينودسيون الوافدون من الكنائس الكاثوليكية الشرقية وممثلو كنائس الشرق الأخرى نوّهوا **بالقيم الإنجيلية المتصلة بالحياة المكرّسة**[10] التي ظهرت منذ أوائل المسيحية والتي لا تزال مزدهرة اليوم في ربوعهم، وبخاصة في الكنائس الأرثوذكسية.

في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة، أوجس رجالٌ ونساءٌ الدعوة إلى التشبه بالكلمة المتجسد في رسالته الخادمة ومشوا في إثره، محققين بطريقة خاصة وجذرية، ضمن الحياة الرهبانية، المقتضيات النابعة من المشاركة العماديّة في سر المسيح الفصحي، سرّ موته وقيامته. لقد **حملوا الصليب**، وتعهدوا بأن يصبحوا هكذا **شهود الروح**، رجالاً ونساءً روحيين حقيقة، بوسعهم أن يُخصبوا التاريخ عمقاً بنشائد الحمد والشفاعة المستمرة والمشورات الزهديّة وأعمال المحبة.

هدف الحياة الرهبانية الشرقية تحديد العالم والحياة بانتظار التماس وجه الله في الرؤيا الخالدة. وإلى أن تحين ساعة الرؤيا، نلمس عندها إيثاراً للتوبة والتجرّد وندامة القلب والتماس السكينة أي السلام الداخلي والصلاة الدائمة والصوم والسهر والجهاد الروحي والصمت والفرح الفصحي في حضور الرب وانتظار مجيئه الأخير، وتقدمه الذات والممتلكات في الشركة الديريّة المقدسة أو في العزلة النسكيّة[11].

وقد مارس الغرب هو أيضاً الحياة الرهبانية منذ القرون الأولى من تاريخ الكنيسة، وعرف منها أشكالاً متنوعة جداً في مجالات الحياة الديريّة والنسكية. الحياة الرهبانية في شكلها الحاضر، المستوحى خصوصاً من القديس بندكتس، هي وريثة رجال ونساء كثيرين هجروا الحياة العالمية والتمسوا الله وقدموا له ذواتهم "مؤثرين حبّ المسيح على كل شيء"[12]. ولا يزال الرهبان حتى اليوم يسعون إلى **التوفيق والتنسيق بين الحياة الباطنة والعمل**، ضمن الالتزام الإنجيلي، على تنقية السيرة والطاعة والثبات والدأب على التأمل في كلام الله، والاحتفال بالليترجيا والصلاة. فالأديار

---

[10] سينودس الأساقفة، الجمعية العادية التاسعة، البلاغ السينودسي الأخير (27 تشرين الأول 1994) 7: (الوثائق الكاثوليكية 91 (1994) ص 984.

[11] التوصية 5، ب.

[12] القديس بندكتس، الفرائض، 4، 21 و 72، 11.

التي كانت ولا تزال، في قلب الكنيسة والعالم، علامة بليغة من علامات الشركة، وبيوتاً مفتوحة للباحثين عن الله وعن الحقائق الروحية، ومدارس إيمان ومراكز بحوث وحوار وثقافة، لبناء الحياة الكنسيّة والمدينة الأرضية نفسها، بانتظار المدينة السماوية.

رتبة العذارى والنساك والأرامل

7- إنه لمن دواعي الفرح والرجاء أن نرى، في أيامنا، عودة **رتبة العذارى**، التي نجد أثرها في الجماعات المسيحية منذ العهود الرسولية[13]. فالعذارى المكرّسات على يد الأسقف الأبرشي يدخلن في علاقة وثيقة بالكنيسة ويتطوَّعن لخدمتها، مع بقائهن في العالم. وسواء أعِشْن وحدهن أم مجتمعات، فإنهن بمثابة **صورة أخروية (اسكاتولوجية) للعروس السماوية والحياة الآخرة** التي ستحيا فيها الكنيسة، في النهاية، ملء حبها للمسيح عريسها.

أما **النسّاك** من الرجال والنساء، المنتمون إلى رهبانيات قديمة أو إلى مؤسسات حديثة أو الخاضعون مباشرة لأسقف، فهم يشهدون على زوال الدهر الحاضر، باعتزالهم العالم داخلياً وخارجياً؛ ويُثْبِتون، بالصوم والصلاة، أن الإنسان لا يحيا فقط بالخبز بل بكلام الله. (متى 4/4). هذه الحياة "في البرية" إنما هي دعوة لأشباههم وللجماعة الكنسية نفسها **ألا يذهلوا عن غايتهم القصوى** وهي أن يبقوا دائماً مع الرب.

نشهد اليوم عودة **تكريس النساء الأرامل**[14]، وهو معروف منذ العهود الرسولية (1 طيم 5/5، 9-10؛ 1 قور 8/7) وكذلك الرجال الأرامل. هؤلاء الأشخاص يتكرّسون، بنذر العفّة الدائمة، ضمن أوضاع حالتهم، للصلاة وخدمة الكنيسة.

الرهبانيات المكرَّسة كليّاً للتأمل

8- الرهبانيات المكرّسة كليّاً للتأمل، المؤلفة من نساء أو رجال، هي للكنيسة مدعاة فخار وينبوع نعم سماوية. فالأشخاص الذين ينتمون إليها يقتدون بالمسيح في صلاته على الجبل، بحياتهم ورسالتهم، ويشهدون لسيادة الله على التاريخ، ويسبقون المجد الآتي.

---

[13] التوصية 12.

[14] مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، قانون 570.

إنهم يأنسون إلى العزلة والصمت وسماع كلام الله وممارسة الشعائر الإلهية، والتروّض الشخصي والصلاة والإماتة وشركة المحبة الأخوية، فيوجهون حياتهم كلها ونشاطهم كله شطر التأمل في الله؛ ويؤدّون بذلك شهادة فريدة لما تكنه الكنيسة من محبة لسيدها، ويساهمون سريّاً مساهمة رسولية خصيبة، في نمو شعب الله[15].

يسوغ لنا إذن التمني لمختلف أشكال الحياة التأملية **أن يتسع انتشارها في الكنائس الفتيّة** لتعبّر عن ملء تجذّر الإنجيل، وبخاصة في المناطق التي يغلب فيها انتشار الديانات الأخرى؛ وذلك ما يفسح المجال لتأدية شهادة فاعلة لحيويّة تقاليد الحياة الزهديّة والصوفية المسيحية، ولتعزيز الحوار بين الأديان[16].

الحياة الرهبانية الرسولية

9- لقد ازدهرت في الغرب، عبر الأجيال، تعابير أخرى كثيرة للحياة الرهبانية، أفسحت المجال لأشخاص لا يحصون، عزفوا عن العالم ليتكرّسوا لله باعتناق المشورات الإنجيلية اعتناقاً علنياً، وفقاً لموهبة مميزة وطريقة حياة مشتركة وثابتة، **للاضطلاع بأشكال مختلفة من الخدمة الرسولية لشعب الله**[17]. وهذا ينطبق على مختلف فئات الكهنة القانونيين، والرهبانيات المتسوّلة والإكليريكيين القانونيين، وبعامةٍ على الجمعيات الرهبانية الرجالية والنسائية التي تنصرف للخدمة والرسالة ولسائر الأعمال المتنوعة الأخرى النابعة من المحبة المسيحية.

تلك شهادة على كثير من الروعة والتنوّع تعكس تعدّدية العطايا التي أجز لها الله على المؤسّسين والمؤسّسات. هؤلاء كلهم، بانفتاحهم على عمل الروح القدس، عرفوا كيف يفسرون "علامات الأزمنة"، ويلبوّن بطريقة واعية ما كان يبدو لهم من مستلزمات متوالية. وفي إثرهم مشى أشخاص آخرون كثيرون، وسعوا، بالكلام والعمل، إلى تجسيد الإنجيل في حياتهم، وإظهار حضور يسوع الحيّ في زمانهم، يسوع المكرَّس الأسمى ورسول الآب. وعلى الرهبان والراهبات أن يستمروا في اتخاذ السيد المسيح مثالاً لهم في كل زمان وفي إنماء شركة قلبية عميقة معه بالصلاة (فيل 2/5-11)، فتنتعش حياتهم كلها بروح رسولية، ويداخل نشاطهم الرسولي كلّه نفحة تأملية[18].

المؤسسات العلمانية

---

[15] المجمع الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة حول تجديد الحياة الرهبانية، فقرة 7؛ نشاط الكنيسة الإرسالي إلى الأمم، فقرة 40.

[16] التوصية 6.

[17] التوصية 4.

[18] التوصية 7.

10- لقد بعث الروح القدس في زماننا – وهو الصَّناع الماهر لتنوّع المواهب – **تعابير جديدة للحياة المكرّسة**. ويبدو ذلك، وفقاً لخطة إلهيّة، استجابة لحاجات جديدة تواجهها الكنيسة اليوم لتحقيق رسالتها في العالم.

ونذكر أولاً **المؤسسات العلمانية** التي يرغب أعضاؤها في أن يمارسوا في العالم تكرّسهم لله، باعتناق المشورات الإنجيلية، في اطار البنى الزمنية، ليكونوا خمير الحكمة وشهود النعمة في تضاعيف الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية. إنهم بفضل ما يميّزهم من تآلف بين الحياة العلمانية والتكرّس، إنما يرغبون في **أن يسرّبوا إلى المجتمع القوى الجديدة النابعة من ملكوت المسيح**، عاملين على تجديد العالم من الداخل بنعمة التطويبات. وهكذا، فيما يتكرّسون لخدمته تعالى تكرّساً كاملاً، بملء انتمائهم إليه، نراهم ينشطون في الظروف العلمانية العادية، وبحفزٍ من الروح، في إضفاء نفحة إنجيلية على الشؤون العالمية. وبهذا، تساهم المؤسسات العلمانية في أن تكفل للكنيسة، وكل بحسب ميزاتها الخاصة، حضوراً فاعلاً في المجتمع[19].

المؤسسات العلمانية الإكليريكية تمارس، هي أيضاً، وظيفة بالغة الأهمية: فثمة كهنة ينتمون إلى الجسم الكهنوتي الأبرشي؛ هؤلاء وإن رخّص بعضهم في الانتساب قانونياً إلى مؤسستهم، يتكرَّسون للمسيح بممارسة المشورات الإنجيلية بموجب موهبة روحية مميزة. إنهم يصيبون في الثروات الروحية التي تنعم بها المؤسسة التي ينتسبون إليها عوناً عظيماً يمكّنهم من أن يعيشوا في العمق الروحانية التي تميّز الدعوة الكهنوتية ويصبحوا هكذا خمير شركة وسخاء رسولي بين اقرانهم الكهنة.

مؤسسات الحياة الرسولية

11- ينبغي أن نخصّ بالذكر **مؤسسات الحياة الرسولية أو الحياة المشتركة**، للرجال والنساء، التي تتوخَّى، بطريقتها الخاصة، هدفاً مميزاً رسولياً أو رسالياً. من بينها مجموعة كبيرة تعتنق المشورات الإنجيلية بواسطة رُبطٍ مقدسة تعترف بها الكنيسة اعترافاً صريحاً. إلاّ أن هذه المؤسسات، حتى في مثل هذه الحال، لها من خصوصية تكرّسها ما يميّزها من المؤسسات الرهبانية والمؤسسات العلمانية. ولا بد من الحفاظ عليها والعمل على دعم خصوصية هذا الشكل من التكرّس الذي أنتج، في القرون الأخيرة، فيضاً من ثمار القداسة والرسالة، وبخاصة في مجالات المحبة ونشر الإنجيل في المناطق الرساليّة[20].

تعابير جديدة للحياة المكرّسة

---

[19] التوصية 11.

[20] التوصية 14.

12- لا تزال الكنيسة، في نضارتها الدائمة، يتجلّى شبابها حتى اليوم: ففي عشرات السنين الأخيرة، من بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، برزت **أشكال جديدة أو مجدّدة في الحياة المكرّسة**. في كثير من الأحوال نقع على مؤسسات شبيهة بالمؤسسات القائمة، ولكنها نابعة من هبّات روحية ورسولية جديدة. حيويتها بحاجة إلى موافقة السلطة الكنسية التي يجب أن تعتمد ما لا بدّ له من وسائل التمييز والتقييم لامتحان صحة الأهداف التي حفزتها أولاً، ثم تلافياً للإفراط في تعدّد المؤسسات المتشابهة، مع ما يستتبع ذلك من خطر التفتت الوبيل زمراً صغيرة. هناك أيضاً اختبارات فذّة، لا تزال في طور البحث عن هويتها الخاصة في الكنيسة وتنتظر من الكرسي الرسولي أن يعترف بها اعترافاً رسمياً، وهو المخوّل وحده سلطة البتّ في شأنها[21].

هذه الأشكال الجديدة في الحياة المكرّسة، التي تنضاف إلى سوابقها، تبرهن عمّا هنالك من قوّة جذابة لا تزال تعمل في قلوب الأجيال الناشئة، مصدرها بذل الذات كاملة للرب، وهدف العيش الرسولي المشترك والمواهب التأسيسية. وهي أيضاً من علامات التكامل القائم بين عطايا الروح القدس.

بيد أن الروح لا يناقض ذاته في غمرة هذه الحداثة. ودليل ذلك أن الأشكال الجديدة في الحياة المكرّسة لم تُسقط الأشكال السابقة. وبالرغم من هذا التنوع ظلّت الوحدة صامدة في أساسها، وذلك بأن الدعوة واحدة لاتّباع يسوع في العفة والفقر والطاعة والسعي إلى المحبة الكاملة. هذه الدعوة الماثلة في جميع أشكال الحياة المكرّسة القائمة يجب أن تَمثُل أيضاً في المؤسسات المستحدثة.

غاية هذا الإرشاد الرسولي

13- إني أود، بعدما جمعت حصائد أعمال السينودس، أن أوجّه هذا الإرشاد الرسولي إلى الكنيسة جمعاء، لأعرض لا للأشخاص المكرّسين وحسب، بل للرعاة والمؤمنين أيضاً، **ثمار ما أدَّت إليه مقارناتنا الحثيثة** التي هيمن الروح القدس على تطوراتها بما عنده من مواهب الحقيقة والمحبة.

في هذه السنين الحافلة بالتجدد، اجتازت الحياة المكرّسة حقبة دقيقة وصعبة، وعلى غرار أشكال أخرى من الحياة في الكنيسة. لقد كانت حقبةً ثريّة بالرجاءات والمحاولات والمقترحات الهادفة إلى التحديث وإضفاء دفع جديد على الحياة المكرّسة باعتناق المشورات الإنجيلية. ولكنها كانت أيضاً حقبة موسومة بمشادَّات ومحنٍ واختبارات سخية وإن لم تكلّل دائماً بنتائج إيجابية.

[21] الحق القانوني العام، قانون 605؛ مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، قانون 571؛ التوصية 13.

بيد أن المصاعب يجب ألاّ تدفع إلى التخاذل، بل علينا أن ننطلق بعزم جديد، لأن الكنيسة بحاجة إلى رفد روحي ورسولي يأتيها من حياة مكرّسة مجدّدة ومعزّزة. من خلال هذا الإرشاد الرسولي المعقِبِ للسينودس أود أن أتوجه إلى الجماعات الرهبانية والأشخاص المكرّسين، بذات الروح الذي نفح الرسالة التي أوفدها مجمع أورشليم إلى المسيحيين في أنطاكية. وأرجو أن يتكرر اليوم الاختبار الذي جرى في الأمس؛ "قرأوا الرسالة ففرحوا بما فيها من تأييد" (رسل 31/15). وإلى ذلك، أرجو أيضاً أن أنمي الفرح في كل أبناء شعب الله الذي سوف يشكر للإله القدير هذه العطية الكبرى، وذلك من منطلق مزيد من الاطلاع على أحوال الحياة المكرّسة.

وفي انفتاح قلبي على آباء السينودس، يُهيأ لي أني استفدت من المساهمات النفسية التي برزت أثناء الأعمال التي تبحرّت فيها الجمعية العمومية والتي أردت أن أحضرها حضوراً متواصلاً. في خلال هذه الفترة اعتنيت بأن أقدم لشعب الله بأسره كرازات منتظمة في الحياة المكرّسة في الكنيسة. وعرضت ثانية التعاليم المتضمَّنة في نصوص المجمع الفاتيكاني الثاني، وقد بات مرجعاً نيّراً للتوسعات العقائدية اللاحقة، وللأبحاث التي قام بها السينودس مدة أسابيع أعماله الحثيثة[22].

إني واثق بأن أبناء الكنيسة، وبخاصة الأشخاص المكرّسين، سوف يرحّبون بهذا الإرشاد بإذعان القلب، وأتمنى متابعة البحث للتعمق في هذه العطية، عطية الحياة المكرّسة في اتجاهاتها الثلاث: التكرّس والشركة والرسالة: وأتمنى أيضاً على الأشخاص المكرّسين، رجالاً ونساءً، بالاتفاق مع الكنيسة وسلطتها التعليمية، أن يتلقّوا بذلك عزماً جديداً لمواجهة التحديات الراهنة، مواجهة روحية ورسولية.

[22] التوصيات 3؛ 4؛ 6؛ 7؛ 8؛ 10؛ 13؛ 28؛ 29؛ 30؛ 35؛ 48.

الفصل الأول

الاعتراف بالثالوث

الحياة المكرسة في ينابيعها 2الكريستولوجية والثالوثية

أيقونة المسيح المتجلّي

14- الأساس الإنجيلي الذي تقوم عليه الحياة المكرّسة يجب أن نبحث عنه في العلاقة الخاصة التي أقامها يسوع، مدة وجوده الأرضي، مع بعضٍ من تلاميذه، وقد دعاهم لا إلى تقبّل ملكوت الله في حياتهم وحسب، بل أيضاً إلى وضع حياتهم في خدمة هذه القضية، مقلعين عن كل شيء ومقتدين **بنمط حياته** اقتداءً وثيقاً.

هذه السيرة "الشبيهة بالمسيح" التي اقتُرحَت على جمٍّ من المعمَّدين، على مدّ التاريخ، لا يمكن الإنسان أن يمارسها إلاّ على أساس دعوة خاصة وبقوّة موهبة خاصة من الروح. فيها، يدعى الإنسان المكرّس بالمعمودية إلى أن يعطي جواباً جذرياً **باتباعه المسيح**، بممارسة المشورات الإنجيلية، وأولها وأعظمها هو وثاق العفّة المقدس، لأجل ملكوت السموات[23]. وهذا النمط في **اتباع المسيح**، النابع دوماً من مبادرة الآب، له إذن مفهوم كريستولوجي وبنفماتولوجي جوهري. وفي هذا ما يمكّنه من أن يعبّر بطريقة وهاجة عن الطابع الثالوثي في الحياة المسيحية، وهو استباق للغاية الأخْروية التي تنْزع إليها الكنيسة كلها[24].

ثمة في الإنجيل أعمال وأقوال كثيرة للمسيح تلقي الضوء على فحوى هذه الدعوة الخاصة. ولكن لكي ندرك ملامحها الجوهرية في رؤية شاملة، من المفيد جداً أن نشخصَ إلى وجه المسيح المشرق في سرّ التجلي. هذه "الأيقونة" هي منطلق تقليد روحي قديم، ينيط الحياة التأملية بصلاة يسوع "على الجبل"[25]. ثم إن مجالات الحياة "العاملة"، في الحياة المكرّسة، يمكن أن تقود هي أيضاً، بقدر ما، إلى ذلك. لأن التجلّي ليس هو انكشاف مجد المسيح وحسب، بل هو تأهب لتقبل الصليب، ويفترض "صعودَ الجبل" و"الهبوط من الجبل": فالتلاميذ الذين تمتعوا بألفة المعلم وظلّلهم فترةً سنى الحياة الثالوثية وشركة القديسين، نالهم شبه اختطاف إلى الأبدية. ولكنهم ارتدّوا فجأة إلى الواقع اليومي ولم

---

[23] التوصية 3، أ و ب.

[24] التوصية 3، ج.

[25] كاسيانوس: "وذهب يسوع وحده على انفراد إلى الجبل ليصلّي، ليعطينا أسوة في العزلة فنذهب نحن أيضاً على انفراد" (المصادر المسيحية 54 ص 80-81)؛ القديس إيرونيموس: "التمس المسيح في الخلوة وصلِّ وحدك معه على الجبل"، (الرسالة إلى بولينس: 58، 4، 2؛ (الآباء اللاتين 22، 582)؛ غليوم دي سان تيري: "الحياة التوحدية مارسها السيد نفسه مراراً كثيرة، ورغب فيها تلاميذه حتى في أيام مكوثه معهم. الذين كانوا معه في الجبل المقدس عاينوا مجد تجليه، ورأى بطرس فوراً أنه يحسن به أن يلبث دائماً في هذا المكان" (إلى إخوة جبل الله 11-21: المصادر المسيحية 223، ص 150-153).

يعودوا يرون سوى "يسوع وحده" في تواضع الطبيعة البشرية، ودُعوا إلى العودة إلى الوهاد، ليشاركوا في جهاداتها ويحققوا قصد الله ويسيروا بجرأة في طريق الصليب.

"وتجلّى قدامهم..."

15- "وبعد ستة أيام مضى يسوع ببطرس ويعقوب وأخيه يوحنا، فانفرد بهم على جبل عالٍ وتجلّى بمرأىً منهم، فأشَّع وجهه كالشمس وتلألأت ثيابه كالنور، وإذا موسى وإيليا قد تراءيا لهم يكلّمانه.

فخاطب بطرس يسوع قال: يا رب حسن أن نكون ههنا. فإن شئت، نصبت ههنا ثلاث خيام: واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيليا".

وبينما هو يتكلم إذا غمام نيّر قد ظلّلهم، وإذا صوت من الغمام يقول: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت، فله اسمعوا". فلما سمع التلاميذ ذلك، سقطوا على وجوههم في استولى عليهم خوف شديد. فدنا يسوع ولمسهم وقال لهم: "قوموا، لا تخافوا"، فرفعوا أنظارهم فلم يروا إلا يسوع وحده".

وبينما هم نازلون من الجبل، أوصاهم يسوع قال: "لا تخبروا أحداً بهذه الرؤيا إلى أن يقوم ابن الإنسان من بين الاموات" (متى 17/1-9).

مشهد التجلّي يسجّل **لحظة حاسمة في رسالة يسوع**: فهو حدث كاشف يثبّت الإيمان في قلوب التلاميذ ويُعدُّهم لمأساة الصليب، ويستبق مجد القيامة. ولا يزال هذا السرّ تعيشه الكنيسة تكراراً، وهي الشعب السائر شطر لقائه الأخير لربّه. ولا تزال الكنيسة، على مثال الرسل الثلاثة المصطَفين، تتأمل وجه المسيح المتجلّي، فيتقوّى به إيمانها ولا تتزعزع لمرأى وجهه المشوّه على الصليب. وفي كلا الحالتين، هي العروس أمام عريسها، تشاركه سرّه ويظللها نوره.

هذا النور يضيء أبناءها المدعوّين كلهم أيضاً إلى اتباع المسيح، مركّزين عليه أقصى مرامي حياتهم، فيسوغ لهم القول مع الرسل: "الحياة عندي هي المسيح" (فيل 21/1). لا شك أن الأشخاص المدعوين إلى الحياة المكرّسة **يحظَون باختبار فريد للنور الفائض من الكلمة المتجسد**. ولا غرو، فاعتناق المشورات الإنجيلية يجعلهم بمثابة **آيات نبوية** لجماعة إخوتهم وللعالم. ومن ثم، فعليهم أن يُصدوا حتماً وبطريقة خاصة لكلمات بطرس الملتهبة: "حسن لنا أن نكون هنا" (متى 4/17). هذه الكلمات ترسم لكل الحياة المسيحية وجهتها الكريستولوجية. بيد أنها تعبّر بقوة عن الطابع **الجذري** الذي يضفي على الدعوة إلى الحياة المكرّسة زخماً عميقاً: فما أجمل أن نلبث معك، وأن نهديك حياتنا، ونركّز عليك، حصراً، كل وجودنا. والواقع أن من حظي بنعمة هذه الشركة التي تربطه بالمسيح برباط حبّ مميّز، ينبهر لسناها. فهو "أجمل بني البشر" (مز 45/أو 3/44) الذي لا يشبهه إنسان!

"هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا"

16- لقد تلقّى التلاميذ الثلاثة، وهم في اختطاف، نداء الآب إلى أن يصغوا إلى المسيح، ويضعوا فيه كل ثقتهم، ويجعلوا منه محور حياتهم. وقد أضفى الكلام النازل من فوق عمقاً "جديداً" على الدعوة التي وجهها إليهم يسوع نفسه لاتباعه، في مطلع حياته العلنيّة، فاقتلعهم من رتابة حياتهم وأدخلهم في ألفته. هذه النعمة الخاصة، نعمة الألفة مع يسوع "هي التي تؤهل الحياة المكرّسة للعطاء الكامل وتلزمها به، باعتناق المشورات الإنجيلية. هذه المشورات، قبل أن تكون دعوة إلى الزهد بل إلى أكثر من ذلك، تتيح للإنسان **أن يتقبل سرّ المسيح بطريقة مميزة**، يمارسها ضمن الكنيسة.

ضمن وحدة الحياة المسيحية، تبدو لنا الدعوات المتنوعة في شبه أشعة تسطع من نور المسيح الأوحد "الذي يتلألأ في وجه الكنيسة"[26]. المؤمنون **العلمانيون**، من منطلق الطابع الذي يميّز دعوتهم، يعكسون سرّ الكلمة المتجسد من حيث هو، خصوصاً، **ألفِ الكون ويأوُه**، وأساس كل الخلائق ومقياس قيمتها. وأما **المعنيون بالخدم المقدسة** فهم صور حيّة للمسيح الرأس والراعي الذي يقود شعبه في زمن "ما تحقق وما لم يتحقق بعد"، بانتظار مجيئه المجيد. وأما **الحياة المكرّسة** فعليها أن تُظهر ابنَ الله المتأنس **بمثابة الغاية الأخروية التي يصبو إليها كل شيء**، والسنى الذي يشحب أمامه كل ضياء، والجمال اللانهائي الذي يستطيع وحده أن يروي قلب الإنسان. الحياة المكرّسة لا تعني فقط أن نتبع المسيح بكل قلبنا ونحبّه "أكثر من الأب أو الأم أو الابن أو البنت" (متى 37/10)، كما هو مطلوب من كل تلميذ، بل أن نعيش ذلك ونعبّر عنه **بطريقة اعتناقٍ "تصوّر" وجودنا كله بصورة المسيح**، في توجّه جذري يستبق ما سوف نكون عليه من كمال أخروي، وفقاً "لمختلف المواهب" وبمقدار ما يمكننا تحقيقه في هذا الزمان.

والواقع أن الشخص المكرّس، من خلال اعتناقه للمشورات الإنجيلية، لا يكتفي بأن يجعل من المسيح نهج حياته بل يسعى إلى أن يصوّر في ذاته، قدر الإمكان، "ذاك النمط من الحياة الذي اتخذه ابن الله في مجيئه إلى العالم"[27]. فعندما يعتنق الشخص المكرّس **نذر العفة** فهو يتبنّى حبّ المسيح العذري ويؤكد للعالم أنه ابن الله الوحيد مع الآب (يو 30/10؛ 11/14). وعندما يتشبّه بفقره، يعترف به ابناً ينال كل شيء من الآب ويعيد إليه، حباً، كل شيء (يو7/17، 10). وعندما يذعن، بتضحية حريته لسرّ طاعته البنويّة يعترف به محبوباً ومحباً إلى ما لا نهاية له، لا يجد سعادته إلاّ في إرادة الآب (يو34/4) الذي به يتحد اتحاداً كاملاً وله يخضع خضوعاً كليّاً.

---

[26] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 1.

[27] المرجع نفسه، فقرة 44.

بهذا التماهي وهذا "التصوّر" بصورة سرّ المسيح، تحقق الحياة المكرّسة، بدرجة خاصة، **الاعتراف بالثالوث** الذي يميّز الحياة المسيحية كلها، منوّهة ومعجبة سنى جمال الله الآب والابن والروح القدس، ومؤديّة فرح الشهادة بتنازله ومحبته لكل كائن بشري.

1- تسبيحاً للثالوث

من الآب وإلى الآب: المبادرة الإلهية

17- إن التأمل في مجد الرب يسوع، في ايقونة التجلّي، يكشف أولاً للأشخاص المكرَّسين الآب الخالق وموزع كل خير، الذي يجتذب إليه (يو 44/6) خليقة من خلائقه، بدافع حبّ خاص، ليقوم برسالة خاصة: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت" (متى 5/17). فإذا استجاب الشخص المدعوّ لهذا النداء مرفقاً بجاذب باطن، فهو يأنس لحب الله الذي يريده لخدمته دون أي شيء آخر، ويكرّس ذاته كلياً للرب ولقصده الخلاصي. (1 قور 32/7-34)

تلك هي فحوى الدعوة إلى الحياة المكرّسة: إنها مبادرة صادرة كليّاً من الآب (يو 16/15) الذي يطلب من الذين اصطفاهم أن يقدّموا له ذواتهم تقدمة كاملة ومطلقة[28]. خبرة هذا الحب الإلهي المجاني هو من القوة والعمق بحيث يدرك الإنسان ضرورة الاستجابة له بتقدمة حياته بلا قيد ولا شرط، مكرّساً كل شيء، الآن وغداً، بين يدي الله. وهذا يجعلنا ندرك، مع القديس توما الأكويني، هوية الشخص المكرّس انطلاقاً من تقدمة ذاته محرقةً حقيقية كاملة[29].

بالابن: في خطى المسيح

18- المسيح - وهو الطريق الذي يقود إلى الآب - (يو 6/14) يدعو كل الذين أعطاهم الآب له (يو 9/17) ليسيروا في خطاه ويوجهوا به حياتهم. إلاّ أن الله يطلب من بعضهم - وهم الأشخاص المكرّسون - تطوّعاً كاملاً يفترض التخلي عن كل شيء (متى 27/19)، ليعيشوا في ألفته[30]، ويصحبوه حيثما سار (رؤ 4/14).

يمكننا أن نقرأ في نظر يسوع (مر 21/10)، الذي هو "صورةُ الله الذي لا يُرى" (قول 15/1)، وشعاعُ مجد الآب (عب 13/1) عمق حب أبدي لا حدود له يتغلغل في أعماق الكيان[31]. كلّ من ينصاع لهذا الحب لا

---

[28] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، المقدمة عناصر جوهرية في عقيدة الكنيسة في الحياة المكرّسة (31 أيار 1983)، فقرة 5: الوثائق الكاثوليكية 80 (1983)، ص 889-890.

[29] الخلاصة اللاهوتية، 2، 2، المسألة 186، أ 1.

[30] التوصية 16.

يقدر إلاّ أن يترك كل شيء ويتبعه (مر 16/1–20؛ 14/2؛ 21/10، 28). فالشخص المكرّس، على غرار بولس، يعدُّ كل شيء: "خسراناً من أجل الربح الأعظم، ألا وهو معرفة الرب يسوع" "ويحسب كل شيء، بإزائه، نفايةً ليربح المسيح" (فيل 8/3، 9). وهو يتوق إلى أن يتماهى مع المسيح ويتشبّه بأخلاقه ونمط حياته. هذه الطريقة في التخلّي عن كل شيء واتّباع الرب (لو 28/18) تكوّن خطة حياة تناسب كل الأشخاص المدعوين وكل الأزمنة.

المشورات الإنجيلية التي تدعو بعض الناس إلى المشاركة في خبرة يسوع العفيف والفقير والمطيع تفترض وتُظهر عند من يقبلها الرغبة الصريحة في **أن يتصوّر كليّاً بصورة المسيح**. فالمكرّسون العائشون "في الطاعة والتجرد عن كل متاع شخصي والعفة"[32] يعترفون بأن يسوع هو المثال الذي فيه كل فضيلة تبلغ ذروتها. فنمط حياته في العفة والفقر والطاعة هو الطريقة القصوى في ممارسة الإنجيل على هذه الأرض، لأنه نمط إلهي نوعاً ما، اعتنقه الإله — الإنسان، للتعبير عن علاقة الابن الوحيد بالآب والروح القدس، ولذلك تحدّث التقليد المسيحي دوماً عن **سموّ الحياة المكرّسة في ذاتها**.

ثم إننا لا نستطيع أن ننكر ممارسة المشورات هي أيضاً طريقة خاصة في المشاركة في رسالة المسيح، مشاركة حميمة وخصيبة، على مثال مريم في الناصرة، وهي أول تلميذة رضيت بأن تتطوع لتحقيق قصد الله، بتقدمة ذاتها كليّاً. كل رسالة تبدأ بموقف يوم البشارة: "هاءنذا أمة الرب؛ ليكن لي بحسب قولك" (لو 38/1).

في الروح: مكرّسون بالروح القدس

19- "إذا غمام نيّر قد ظلّلهم" (متى 5/17) ثمَّة تفسير روحاني مثقل بالمعاني يتوّسم في هذا الغمام رمزاً للروح القدس[33].

الدعوة إلى الحياة المكرّسة، كالحياة المسيحية كلها، لها أيضاً علاقة وثيقة بالروح القدس. فالروح هو الذي يدفع دوماً، عبر القرون، أفواجاً من الناس يوجسون جاذبية هذا الخيار الصعب. هؤلاء الأشخاص يجدّدون نوعاً ما، بتأثير الروح، خبرة النبي إرميا: "لقد فتنتني يا رب، ففُتِنت" (إر 7/20). الروح هو الذي يكوّن يصوّر روح المدعوّين، ويجدّدهم على صورة المسيح العفيف والفقير والمطيع، ويدفعهم إلى الاضطلاع برسالته. فإذا اهتدوا بهدي الروح للسير

---

[31] يوحنا بولس الثاني، عطية الفداء (25 آذار 1984)، فقرة 3: أعمال الكرسي الرسولي 76 (1984)، ص 515–517.

[32] القديس فرنسيس الأسيزي، الفرائض، الفصل الأول، 1.

[33] "لقد تجلّى الثالوث كله: الآب بصوته والابن في الإنسان والروح في الغمام النيّر": القديس توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية 3، المسألة 45، أ 4، الرد على 2).

قدماً في طريق التنقية، فسوف يصبحون يوماً بعد يوم أشخاصاً على **صورة المسيح**، ويواصلون، في التاريخ، حضوراً مميزاً للرب الناهض من القبر.

لقد وصف آباء الكنيسة، بحدسٍ ثابت، هذا الطريق الروحي، طريق الفيلوكاليا، أي عشق البهاء الإلهي، وسناء الجودة الإلهية. فإذا قُيّض للإنسان أن يتقدم رويداً رويداً، بقدرة الروح القدس، إلى أن يبلغ كمال التشبه بالمسيح. فهو يعكس في ذاته شعاعاً من النور الذي لا يدرَك، وفي مسيرته الأرضية يسير شطر ينبوع النور الذي لا ينضب. هكذا تصبح الحياة المكرّسة تعبيراً بليغاً عن الكنيسة – العروس التي يقودها الروح إلى أن تصوّر في ذاتها ملامح العريس، فتظهر أمامه "سنيّة لا شائبة فيها ولا تغضّن ولا ما أشبه ذلك، بل مقدّسة لا عيب" (أف 27/5).

هذا الروح عينه لا يعزل الذين دعاهم الآب عن تاريخ البشر، بل يجعلهم في خدمة إخوتهم وفقاً لأحوال دعوتهم الخاصة، ويدفعهم إلى الاضطلاع برسالات خاصة، وفقاً لحاجات الكنيسة و العالم، عبر المواهب التي تتميّز بها المؤسسات المتنوعة. من هنا الأشكال المتعددة في الحياة المكرّسة التي بفضلها تظهر الكنيسة "مزيّنة كما تتزين العروس لعريسها (رؤ2/21)"[34] ومجهّزة بوسائل غاية في التنوّع لتحقيق رسالتها في العالم.

المشورات الإنجيلية عطيّة من الثالوث

20- المشورات الإنجيلية هي إذن أولاً **عطيّة من الثالوث الأقدس**. فالحياة المكرّسة تبشّر بما يحققه الآب بالابن، في الروح، بحبّه ولطفه وجماله. ولا غرو "فالحالة الرهبانية تُظهر، بوجه خاص، كيف يسمو ملكوت الله على جميع أشياء الأرض وعلى أعظم الضرورات شأناً، وتعلن لجميع الناس، من المسيح المالك سموّ عظمة قدرته، ومن الروح القدس قدرته اللامتناهية التي تعمل في الكنيسة عملاً عجيباً"[35].

أول واجب، في الحياة المكرّسة، **إظهار** العجائب التي صنعها الله عبر الأشخاص الذين دعاهم، وعبر بشريّتهم الهشّة. هؤلاء الأشخاص يكونون شهوداً لهذه المعجزات لا بكثرة الكلام بل ببلاغة سيرة منوّرة من شأنها أن تُدهش العالم. ويقابلون هذه الدهشة بإذاعة عجائب النعمة التي يجريها الرب في الذين يحبهم. وبمقدار ما ينقاد الإنسان المكرّس للروح ليبلغ به قمم الكمال، بوسعه أن يهتف قائلاً: "إني أبصر جمال نعمتك، وأتأمل سناها، وأعكس نورها ويأسرني بهاؤها الذي لا يوصف. إني أخرج من ذاتي عندما أفكر في ذاتي. وإني أرى ما كنت عليه وما صرت إليه. يا للمعجزة! أني أظلّ متنبهاً وممتلئاً احتراماً لذاتي، وإجلالاً وخشية، كما لو كنت؛ لا أدري ما أصنع لكثرة وجلي، ولا

[34] المجمع الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 1.

[35] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 44.

أين أجلس، ومما أدنو، وأين أريح هذه الأعضاء التي هي مِلكك، وفي أي عمل أو أي سعي أستعمل هذه الأعضاء العجيبة"[36]. هكذا تصبح الحياة المكرّسة أثراً من الآثار المكرّسة التي يخلّفها الثالوث في التاريخ لكي يدرك الناس سحر الجمال الإلهي والحنين إليه.

انعكاس الحياة الثالوثية في المشورات

21- عندما نُجيل المشورات الإنجيلية إلى الثالوث القدوس والمقدِّس، إنما ننبئ بمعناها الأعمق. ولا غرو، فهذه المشورات تعبّر عن محبة الابن للآب في وحدة الروح. والشخص المكرّس الذي يمارسها يعيش، بقوة مميزة، الطابع الثالوثي والكريستولوجي الذي يميّز الحياة المسيحية كلها.

إن **عفة** المتبتّلين والعذارى، بمقدار هبة القلب **لله بلا منازع** (1 قور 7/32-34) تكون شعاع **الحب اللامحدود** الذي يوحّد الأقانيم الإلهية الثلاثة في عمق سرّ الحياة الثالوثية، والذي يشهد له الكلمة المتجسد إلى حدّ بذل حياته، والذي "يفيضه الروح القدس في قلوبنا" (روم 5/5)، ويهيب بنا إلى تلبيته بجواب حبّ مطلق لله وللآخرين.

وبالفقر يعترف الإنسان المكرّس أن الله هو الثروة الحقيقية الوحيدة. فإذا عاشه على مثال المسيح الذي "صار فقيراً وهو الغني" (1 قو 9/8) أضحى تعبيراً عما يقوم بين الأقانيم الثلاثة من **موهبة ذات كاملة**. هذه الموهبة تفيض في الخليقة وتتجلّى بملئها في تجسد الكلمة وفي موته الفادي.

الطاعة التي يمارسها المكرّسون تشبهاً بالمسيح الذي كان طعامه أن يعمل بمشيئة أبيه (يو 4/34) تُظهر ما هنالك من جمال معتقٍ، نابعٍ من **خضوع بنوي شريف**، حافل بمعاني المسؤولية ومشبع بروح الثقة المتبادلة، الذي يعكس، في التاريخ، **تبادل الحب** بين الأقانيم الإلهية الثلاثة.

الحياة المكرّسة مدعوة إذن إلى التعمق المتواصل في موهبة المشورات الإنجيلية، عن طريق حبّ متزايد خلوصاً وقوة، وفي اتجاه **ثالوثي: حب للمسيح** الذي يدعونا إلى حياة ألفة معه؛ **وحب للروح** القدس الذي يُعدُّ النفس لقبول ايحاءاته؛ **وحب للآب** المصدر الأول والغاية الأخيرة للحياة المكرّسة[37]. وتصبح الحياة المكرّسة هكذا اعترافاً بالثالوث وآية له، الثالوث الذي يتجلّى للكنيسة نموذجاً ومصدراً لكل نمط من أنماط الحياة المسيحية.

---

[36] سمعان اللاهوتي الجديد، أناشيد، 2، 19-27؛ المصادر المسيحية 156، ص 178-179.

[37] يوحنا بولس الثاني، خطاب في الجمعية العمومية (9 تشرين الثاني 1994)، فقرة 4؛ الوثائق المسيحية 91 (1994) ص 1071.

الحياة الأخوية نفسها التي بفضلها يحاول الأشخاص المكرّسون أن يعيشوا في المسيح "بقلب واحد ونفس واحدة" (رسل 32/4) تظهر بمثابة اعتراف ثالوثي غني المعنى، فهي تعترف **بالآب** الذي يريد أن يجعل جميع الناس أسرة واحدة، وتعترف **بالابن المتجسد** الذي يجمع في الوحدة جميع المفتدَين، ويهديهم الطريق إليها بسيرته وصلاته وأقواله وخصوصاً بموته، وهو ينبوع مصالحة للبشر المنقسمين والمشتتين؛ وتعترف **بالروح القدس** مبدأ وحدة الكنيسة، حيث لا ينفك يبعث أُسَراً روحية وجماعات أخويّة.

مُكرّسون على غرار المسيح لخدمة ملكوت الله

22- الحياة المكرّسة "تُماثل عن كثب، وتمثّل بلا انقطاع في الكنيسة"[38]، بحفزٍ من الروح القدس، نمط الحياة التي اعتنقها يسوع، أول مكرّس وأول رسول للآب لملكوته، وعرَضَها على الرسل الذين اتبعوه (متى 4/18-22؛ مر 1/16-20؛ لو 5/10-11؛ يو 15/16). ففي ضوء تكرّس يسوع، بوسعنا أن نكشف، في مبادرة الآب، ينبوع كل قداسة، جذر الحياة المكرّسة. يسوع نفسه هو من "مسحة الله بالروح القدس وأفاض عليه القدرة" (رسل 10/38)، وهو من "قدّسه الآب وأرسله إلى العالم" (يو 10/36). وكما تقبّل الابن مسحة الآب، هو أيضاً يكرّس ذاته لأجل البشرية (يو 17/19): عيشه في العفة والطاعة والفقر يعبّر عن اعتناقه البنوي المطلق لقصد الآب (يو 10/30؛ 14/11). تقدمته الكاملة تضفي طابع التكريس على كل أحداث حياته الأرضية.

إنه **الطائع الأمثل**، الذي نزل من السماء لا ليعمل بمشيئته بل بمشيئة من أرسله (يو6/38؛ عب10/5-7). لقد وضع كيانه وعمله بين يدي الآب (لو 2/49). وبسبب من طاعته البنوية، اتخذ صورة عبد: "تجرّد من ذاته متخذاً صورة العبد [...] وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب". (فيل 2/7-8) بمثل هذه الطاعة للآب، بالرغم مما نجد عند المسيح من تأييد ودفاع عن كرامة الحياة الزوجية وقداستها، نراه يعتنق نمط الحياة البتولية، ويكشف **هكذا ما تحظى به البتولية من قيمة خارقة وخصب روحي عميق**. واعتناقه الكامل لقصد الآب يظهر أيضاً في زهده بمتاع الدنيا: "لقد افتقر لأجلكم، وهو الغني، لتغتنوا بفقره" (2 قور 8/9). ويتجلّى عمق فقره في تقدمة كل ما لديه للآب تقدمة كاملة.

الحياة المكرّسة هي حقاً بمثابة **الذكرى الحيّة لما اعتنقه يسوع من نمط حياة وعمل**، بوصفه الكلمة المتجسد، في علاقته بأبيه وإخوته. إنها سُنّة حيّة لسيرة المخلّص وتعاليمه.

2- من الفصح إلى ملء الأزمنة

[38] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 44.

من ثابور إلى الجلجلة

23- بهاء حدث التجلّي يُعدّ الحدثَ الآخر، حدث الجلجلة الذي لا يقل عنه مجداً. لقد شاهد بطرس ويعقوب ويوحنا الرب يسوع ومعه موسى وإيليا، يكلّمانه – حسب إنجيل لوقا – "على رحيله الذي سيتم في أورشليم" (لو 31/9). لقد كانت أبصار الرسل شاخصة إلى يسوع وهو يفكّر في الصليب (لو 43/9-45). حبّه العذري لأبيه ولسائر الناس وجد في الصليب تعبيره الأبلغ، وانتهى فقره حتى التجرّد الكامل، وطاعته حتى بذل حياته.

ودُعي التلاميذ إلى تأمل يسوع المرفوع على الصليب، حيث "الكلمة المولود من الصمت"[39] يؤكد نبوياً، في غمرة صمته ووحدته، سموّ الله المطلق على جميع الخيرات المخلوقة، وحيث انتصر، في الجسد، على خطيئتنا، واجتذب إليه كل رجل وكل امرأة، منعماً على كل إنسان بالحياة الجديدة النابعة من القيامة (يو 32/12؛ 34/19-37). تأملُ يسوع المصلوب هو ينبوع وحي لكل الدعوات؛ وهو، بنعمة الروح الجوهرية، منبع كل الهبات، وبخاصة هبة الحياة المكرّسة.

ولقد تقبل الرسول يوحنا، هو أيضاً، هذه الهبة من بعد ما وُهبَ مريم أمَّ يسوع، وذلك بأنه هو الرسول الذي كان يسوع يحبه والذي كان واقفاً، مع مريم، عند صليب يسوع (يو 19-26-27). لقد كان قراره التكرّسَ الكامل ثمرة الحب الإلهي الذي بات يحوطه ويدعمه ويفعم قلبه. وكان يوحنا، إلى جانب مريم، بين الألولين في سلسلة الرجال والنساء الذين أوجسوا، منذ مطلع تاريخ الكنيسة، أن الله قد استحوذ عليهم بحبه ودعاهم إلى اتباع الحمل المذبوح والحي واصطحابه كفيما سار" (رؤ 1/14-5)[40].

الحياة المكرّسة في بعدها الفصحي

24- الشخص المكرّس، في مختلف انماط الحياة التي أقامها الروح عبر التاريخ، يختبر حقيقة الله، إله المحبة، ويكون اختباره مباشراً وعميقاً بمقدار ما يتم تحت علامة صليب المسيح. إن الذي بدا لأنظار الناس ميتاً، مشوهاً وبلا بهاء، وبات الناس يسترون وجوههم عنه (أش 2/53-3)، أظهر على الصليب ذروة جمال محبة الله وقدرتها. وقد أنشد القديس أوغسطينوس ذلك بقوله: "ما أجمل الكلمة الكائن عند الله [...]. ما أروعه في السماء وما أروعه على

[39] القديس اغناطيوس الأنطاكي، الرسالة إلى أهل ماغنيزيا 8، 2؛ الأباء الرسوليون، طبعة فونك، 2، ص 237؛ المصادر المسيحية 10، ص 87.

[40] التوصية 3.

الأرض [...]؛ رائع في معجزاته، رائع في عذاباته؛ رائع عندما يدعو إلى الحياة ورائع عندما لا يعبأ بالموت [...] رائع على الصليب، ورائع في القبر، ورائع في السماء [...] لا يصرفنَّ ضعفُ الجسد أنظارك عن بهاء جماله"[41].

الحياة المكرّسة تعكس سنى المحبة، لأنها تعلن، بأمانتها لسرّ الجلجلة، إيمانها بمحبة الآب والابن والروح القدس، وبأنها تحيا بها. وهذ بذلك تساهم في أن يستمرّ حيّاً في الكنيسة، وعيُ المؤمنين أن **الصليب هو فيض محبة الله المنسكب على العالم**. الصليب هو العلامة الكبرى لحضور المسيحي الخلاصي، وذلك خصوصاً في الشدائد والمحن. ثمة حشد كبير من الأشخاص المكرّسين الذين يؤدُّون عن ذلك شهادة متواصلة، بجرأة جديرة بالإعجاب، عائشين غالباً في ظروف صعبة، بما فيها الاضطهاد والاستشهاد. إن أمانتهم للحب الأوحد تتجلّى وتتقوّى في تواضع حياة مستترة، وفي تقبل العذابات التي يكمّلون بها في أجسادهم "ما ينقص من آلام المسيح" (قول 24/1)، وفي التضحية الصامتة، والإسلاس لإرادة الله القدوسة والأمانة المطمئنة، حتى عندما يدب الوهن في الطاقات والنفوذ الشخصي. والأمانة لله تحفز أيضاً التفاني في سبيل القريب، الذي يمارسه الأشخاص المكرّسون بغير منأى عن التضحيات، وذلك بأنهم يشفعون دائماً لإخوتهم المحتاجين، ويؤدون للبائسين والمرضى خدمة سخية، ويقاسمون الآخرين مصاعبهم، ويشاركون الكنيسة همومها ومحنها مشاركة ناشطة.

شهود المسيح في العالم

25- من السرّ الفصحي ينبع أيضاً **سرّ الرسالة**، وهو جزء لا يتجزأ من الحياة الكنسيّة برمّتها، ويتحقق في الحياة المكرّسة بطريقة مميزة. ويسوغ القول إن مفهوم الرسالة، حتى بمعزلٍ عن المواهب التي تميّز المؤسسات المعنيّة بالرسالة **إلى الأمم** أو المتطوّعة في أعمال رسولية بالمعنى الحصري، **هو في قلب كل أشكال الحياة المكرّسة**. وبمقدار ما يحيا الشخص المكرّس حياة "منذورة كلها للآب" (لو 49/2؛ يو 34/4)، مأسورة بإسار المسيح (يو16/15؛ غلا 15/1-16) منفوحة بالروح (لو 49/24؛ رسل 8/1؛ 4/2)، فهو يساهم بطريقة فعّالة في رسالة الرب يسوع (يو 21/20) ويؤدي قسطاً بالغ الأهمية في تجديد العالم.

أول واجبات الأشخاص المكرّسين، على الصعيد الرسالي، يتعلّق بهم أنفسهم، ويضطلعون به إذا فتحوا قلبهم لعمل روح المسيح. شهادتهم تذكّر الكنيسة بأن خدمة الله المجانيّة التي تقدم كل شيء، تصبح ممكنة بنعمة المسيح الذي يفيضها الروح في المؤمن. هكذا يُبَشَّر العالم بالسلام الذي يأتي من الآب وبتقدمة الذات التي يشهد لها الابن وبالفرح الذي هو من ثمرات الروح القدس.

[41] القديس أوغسطينوس، في شرح المزامير 44، 3: الآباء اللاتين 36، 495-496.

ويكتسب الأشخاص المكرّسون صفة المرسلين أولاً إذا استمروا في تعميق وعيهم أن الله هو الذي دعاهم واختارهم وأن عليهم، بالتالي، أن يوجهوا إليه كل حياتهم ويقدموا له كل كيانهم وكل ما يملكون، ويحرّروا أنفسهم من العوائق التي يمكن أن تعرقل جواب حبهم الكامل. وبوسعهم أن يصيروا، هكذا، **علامة حقيقية من علامات حضور المسيح في العالم**. ويجب أن يعكس نمط حياتهم المثال الذي اعتنقوه، ويَظهروا للعالم بمثابة آيات حيّة لله، وينادوا بالإنجيل مناداة مقنعة، وإن تك ذلك أحياناً كثيرة في الصمت.

على الكنيسة أن تعنى دائماً بأن **تشارك في الحياة اليومية مشاركة بيّنة**، وبخاصة في الثقافة المعاصرة المعلمنة غالباً والمتأثرة، مع ذلك، بلغة الرموز وبوسعها، من ثمّ، أن تنتظر، بكل حق، مساهمة خاصة من قبل الأشخاص المكرّسين المدعوين إلى أن يؤدوا شهادة ملموسة عن انتمائهم إلى المسيح في جميع الظروف.

ولأن الزي الرهباني هو علامة تكرّس وفقر وانتماء إلى أسرة رهبانية محددة، فإني مع آباء السينودس أوصي الرهبان والراهبات توصية شديدة بأن يرتدوا ثوبهم لائقاً مكيّفاً بمقتضى الظروف الزمانية والمكانية[42]. وإذا كانت هناك مقتضيات رسولية معلّلة فبإمكانهم، طبقاً لفرائض رهبانيتهم، أن يلبسوا أيضاً ثوباً بسيطاً ولائقاً، مع شارة فارقة تُعرَف بها حالتهم المكرّسة.

المؤسسات التي، منذ نشأتها، لا تلحظ زياً خاصاً في فرائضها، يجب أن تحرص على أن يرتدي أعضاؤها ثياباً لائقة وبسيطة تنسجم مع طبيعة دعوتهم[43].

الحياة المكرّسة في بعدها الأخروي

26- نظراً إلى الحاحيّة المشاغل الرسولية المتزايدة، في أيامنا، وتفاقم الانسياق لأمور هذا العالم وازدياد الإنهماك فيها، نرى أنه على جانب من الأهمية أن نلفت النظر **إلى الطابع الأخروي في الحياة المكرّسة**.

"حيث يكون كنْزك يكون قلبك" (متى 11/6). كنْز الملكوت، وهو الكنْز الأوحد، يوقظ الرغبة والانتظار والالتزام والشهادة. في الكنيسة الأولى كان المسيحيون يترقبون مجيء الرب بكثير من التشوّق. بيد أن الكنيسة لم تتوقف، على مرّ الأجيال، عن مواصلة هذا الاستعداد للرجاء: لقد ظلت تناشد المؤمنين ترقب خلاصهم العتيد لأن صورة هذا العالم في زوال" (1 قور 31/7؛ 1 بط/3-6).[44]

---

[42] التوصية 25؛ المجمع الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 17.

[43] التوصية 25.

[44] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 42.

من هذا المنظار، نفهم فهماً أعمق ما تتميّز به **الحياة المكرّسة من أنها أية أخروية**. ولا غرو فالتعليم الثابت في الكنيسة يرى في الحياة المكرّسة استباقاً للملكوت الآتي. وقد استعاد المجمع الفاتيكاني الثاني هذا التعليم عندما أكّد أن التكرّس "ينبئ بالقيامة الآتية ومجد ملكوت السماء"[45]. وهذا ما يحققه اختيار **العفة** الذي ظل دوماً في نظر التقليد استباقاً **للعالم النهائي** الذي يعمل، منذ الآن، في الإنسان ويحوّل كل كيانه.

إن الذين كرّسوا حياتهم للمسيح لا يسعهم إلا أن يعيشوا في التشوق إلى لقائه، ليتمكنوا من أن يكونوا معه دائماً. من هنا ذاك الترقب المتوقّد. من هنا التوق إلى "الغوص في أتون الحب المضطرم فيهم، وهو الروح القدس بعينه"[46]؛ ترقب وتوق تدعمهما المواهب التي يجود بها الرب حراً على الذين يسعون "إلى الأمور التي في العلى" (قول 1/3).

الشخص المكرّس الذي يشخص بنظره إلى أمور الرب، يذكّرنا "بأن ليس لنا هنا مدينة باقية" (عب14/13)، لأن "موطننا في السموات" (فيل 20/3). وليس لنا من حاجة إلا أن "نطلب ملكوت الله وبرّه" (متى 33/6)، ملتمسين بلا انقطاع مجيء الرب.

ترقّب ناشط: التزام وسهر

27- "هلمّ أيها الرب يسوع!" (رؤ 20/22). هذا الترقب **ليس أبداً بالترقب الكسول**: فهو، مع شخوصه إلى الملكوت الآتي، يتترجم عملاً ورسالة، لأن الملكوت يمثل في الحاضر منذ الآن، من خلال العمل على تطبيق روح التطويبات، وهو من شأنه أن يبعث في المجتمع البشري توقاً حقيقياً إلى العدالة والسلام والتضامن والمسامحة.

وهذا ما ينجم، على نطاق واسع، عن تاريخ الحياة المكرّسة التي لم تنفكّ تؤتي العالم ثماراً وفيرة. فالأشخاص المكرّسون يصبحون، بمواهبهم، آيات للروح لبناء مستقبل جديد، مشرق بالإيمان والرجاء المسيحي. **التوق الإسكاتولوجي يتجسَّم في الرسالة**، لكي يرسخ الملكوت ويتطوّر هنا والآن. فإلى الابتهال: "هلمّ أيها الرب يسوع!" ينضاف الدعاء الآخر: "ليأتِ ملكوتك!" (متى 10/6).

من يسهر انتظاراً لنفاذ وعود المسيح، بوسعه أن يُشرك في الرجاء إخوته وأخواته الذين كثيراً ما يجتاحهم الوهن والتشاؤم تجاه المستقبل. رجاؤه يرسو على وعد الله الذي يتضمَّنه كلام الوحي: فتاريخ البشر يتقدّم شطر

---

[45] المرجع نفسه، فقرة 44.

[46] الطوباوية اليصابات الثالوثية، السماء في الإيمان، الكتاب الروحي، 1، 14: الآثار الكاملة، باريس (1991)، ص 106.

"السماء الجديدة والأرض الجديدة" (رؤ 1/21)، حيث يكفكف الرب "كل دمعة تسيل من عيونهم: لم يبقَ للموت وجود، ولا للبكاء ولا للصراخ ولا للألم، لأن العالم القديم قد زال" (رؤ 4/21).

الحياة المكرّسة هي في خدمة المجد الإلهي وإشعاعه المقيم، حيث "كل بشر يرى خلاص الله" (لو 6/3؛ أش5/40). الشرق المسيحي ينوّه بهذا الملمح، عندما يعتبر الرهبان **ملائكة الله على الأرض**، يبشرون بتجدّد العالم في المسيح. وأما في الغرب فالحياة الرهبانية هي ذكرى وهجوع: **ذكرى** العجائب التي صنعها الله، **وهجوع** في انتظار اكتمال الرجاء وتمامه الأخير. بلاغ الحياة الرهبانية والحياة التأملية يردّد بلا انقطاع أن أولية الله تضفي على الوجود البشري قمة معنى وفرح، لأن الإنسان خُلق لأجل الله ولا يهدأ له بال ما دام لم يسترح فيه[47].

العذراء مريم مثال في التكرّس واتباع المسيح

28- لقد عكست مريم، منذ أن تمّ الحبل بها لا دنس، الجمال الإلهي، بأسمى ما يكون الجمال. إنها "الجميلة جداً!": تلك هي الصفة التي تناديها بها الكنيسة: "إن العلاقة بمريم العذراء الفائقة القداسة، التي يرعاها كل مؤمن بنتيجة اتحاده بالمسيح، تظهر بنتوء أعظم في حياة الأشخاص المكرّسين. [...] في كل [مؤسسات الحياة المكرّسة] نجد اليقين من أنّ حضور مريم له أهمية أساسية سواء لإنعاش الحياة الروحية في كل نفس مكرّسة، أم لضمان الصمود والوحدة والتقدم في حياة الجماعة بأسرها"[48].

مريم هي، بلا شك، **مثالٌ سامٍ في التكرّس الكامل**، بانتمائها إلى الله وبتقدمة ذاتها كاملة. ولقد اصطفاها الرب الذي أراد أن يُتِم فيها سرّ التجسد لتذكّر المكرّسين **بأولوية المبادرة الإلهية**. ثم إنها، في الوقت نفسه، قدّمت خضوعها لكلمة الله الذي تجسّد فيها فأصبحت مثالاً للخليقة البشرية في تقبلها الكلمة الإلهية.

لقد عاشت العذراء مع يوسف، بقرب المسيح، في حياة الناصرة الخفيّة، وكانت إليه في الأوقات العصيبة في حياته العلنية، فأصبحت معلّمة ترشدنا كيف نتيح المسيح بلا شروط، ونخدمه بلا توانٍ. إنها "مقدس الروح القدس"[49]، فيها يشرق كل بهاء الخليقة الجديدة. وتعتبرها الحياة المكرّسة نموذجاً راقياً في التكرّس للآب، والاتحاد

[47] القديس أوغسطينوس، اعترافات، 1، 1، المكتبة الأوغسطينية 13 (1962)، ص 273.

[48] يوحنا بولس الثاني، خطابه في الجمعية العمومية (29 آذار 1995): الوثائق الكاثوليكية 92 (1995)، ص 428.

[49] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 53.

بابنه، والإسلاس للروح، ونعتقد أنّ اعتناق "ما اصطفاه المسيح من نمط حياة في البتولية والفقرة"[50] يعني أيضاً اعتناق نمط حياة العذراء مريم.

ويلقى الشخص المكرّس في العذراء، علاوة على ذلك، **أمّاً مميّزة جداً**. فإذا كانت الأمومة الجديدة التي نالتها مريم عند الجلجلة هي هبةً لكل المسيحيين، فلا شك أن لها قيمة فريدة للذين وقفوا حياتهم كلها للمسيح: "هذه أُمُّكَ!" (يو 27/19): فكلمات يسوع للتلميذ الذي كان يحبه" (يو 26/19) تكتسب مغزىً مميزاً في حياة الشخص المكرّس؛ فهو مدعوّ، مثل يوحنا، إلى أن يأخذ العذراء مريم معه (يو 27/19): فيحبّها ويقتدي بها بتلك المطلقيّة التي تميز دعوته، ويختبر، في المقابل، من قبل العذراء، حنان أمٍّ ليس من بعده حنان. إنها تُهديه من الحب ما يمكّنه من أن يقدّم حياته، كل يوم، لأجل المسيح، ويعاونه في خلاص العالم. ومن ثم، فالعلاقة البنويّة بمريم هي الطريق المميّز للتمسك بالأمانة لنداء الرب وعونٌ فعال للتقدّم في تلبية النداء واعتناق الدعوة اعتناقاً كاملاً[51].

3- في الكنيسة وللكنيسة

"حسن أن نكون ههنا": الحياة المكرّسة في سرّ الكنيسة

29- في التجلّي، تكلم بطرس بالنيابة عن الرسولين الآخرين: "حسن أن نكون ههنا" (متى 4/17). إن ما ناله من خبرة مجد المسيح خطف عقله وقلبه، ولكنه لم يعزله بل شدَّه، بالعكس، شدّاً عميقاً إلى "معيّة" الرسل.

فكرة هذه "المعيّة" تدفعنا إلى التفكير بملء الحياة المكرّسة في سرّ الكنيسة. في هذه السنين الأخيرة أدى البحث اللاهوتي في طبيعة الحياة المكرّسة إلى استقصاء الوجهات الجديدة الناجمة عن تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني. ففي ضوء هذا المجتمع هو، بلا منازع، جزء لا يتجزأ من حياة الكنيسة وقداستها[52]. ومفاد هذا أن الحياة المكرّسة، القائمة منذ العهود الأولى، لا يمكن أن تنعدم في الكنيسة، بصفتها مكوّناً أساسياً لا يمكن الاستعاضة عنه، وتعبيراً عن صميم طبيعتها.

ويتضح ذلك من أن الحياة المكرّسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسرّ المسيح، وهدف رسالتها أن يتسمرّ في الوجود نمطُ الحياة التي اصطفاها المسيح، مبيّنةً أن لهذا النمط في الحياة قيمةً مطلقة ومغزى أخروياً. ولقد دعا يسوع نفسه بعض الأشخاص إلى أن يتركوا كل شيء ويتبعوه، مفتتحاً بذلك نمط حياة تَطَوَّرَ، عبر القرون، بقوّة الروح، واتخذ

---

[50] المرجع ذاته، فقرة 46.

[51] التوصية 55.

[52] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 44.

أشكالاً متنوعة في الحياة المكرّسة. ففكرة كنيسة مؤلفة فقط من إكليروس وعلمانيين لا تنطبق على أفكار مؤسسها الإلهي كما يتبيّن ذلك في الأناجيل وسائر كتب العهد الجديد.

التكرّس الجديد والخاص

30- في التقليد الكنسي، تُعتبر **الحالة الرهبانية تعميقاً فريداً وخصباً للتكرس العادي**، وذلك بأن الاتحاد الحميم بالمسيح الذي يبدأ في المعمودية يتطوّر ليصبح موهبة تَشبُّهٍ بالمسيح، يعبّر عنها ويحققها، بطريقة أكمل، اعتناق المشورات الإنجيلية[53].

إلاّ أن هذا التكرّس اللاحق يتميّز عن الأول، **وليس هو نتيجة حتمية** من نتائجه[54]. والواقع أن كل من تجدّد ميلاده في المسيح مدعوّ إلى أن يمارس، بقوّة موهبة الروح، العفة التي تتناسب مع وضعه الحياتي، والطاعة لله والكنيسة، وزهداً معقولاً بالخيور الماديّة، وذلك بأن الجميع مدعوون إلى القداسة التي قوامها كمال المحبة[55]. ولكن المعمودية لا تفترض في حدّ ذاتها الدعوة إلى العزوبيّة أو البتوليّة، والتخلي عن ملكيّة الأرزاق، والطاعة لرئيس، في الشكل التي تحدّده ممارسة المشورات الإنجيلية. اعتناق هذه المشورات يفترض إذن موهبة من الله لا تُمنح للجميع، كما أكّد ذلك يسوع نفسه في حالة العزوبيّة الطوعية (متى 19/10-12).

ثم إن هذه الدعوة يقابلها، من جهة أخرى، **موهبة مميّزة من الروح القدس**، ليتمكن الشخص المكرّس من أن يلّبي مقتضيات دعوته ورسالته. ومن ثم، فبشهادة ليترجيات الشرق والغرب، في الاحتفال الطقسي بنذور الحياة التوحّدية أو الرهبانية، أو بتكريس العذارى، تلتمس الكنيسة للأشخاص المختارين نعمة الروح القدس، وتقرن تقدمة ذاتهم بذبيحة المسيح[56].

اعتناق المشورات الإنجيلية هو أيضاً نتيجة **نموّ نعمة التثبيت**، ولكن ذلك يتخطى المقتضيات العادية الناجمة عن نعمة التثبيت، وذلك بقوة موهبة خاصة من الروح تنمي في الشخص المكرّس مؤهلات جديدة وتؤتيه ثماراً جديدة، ثمار قداسة ورسالة كما تبيّن ذلك من تاريخ الحياة المكرّسة.

---

[53] يوحنا بولس الثاني، هبة الفداء (25 آذار 1984) فقرة 7: أعمال الكرسي الرسولي 76 (1984)، ص 522-524.

[54] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 33؛ يوحنا بولس الثاني، خطابه في الجمعية العمومية (26 تشرين الأول 1994)، فقرة 5: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 1034-1035.

[55] المرجع نفسه، فقرة 42.

[56] الكتاب الطقسي الروماني، رتبة النذر الرهباني: البركة الاحتفالية أو تكريس الناذرين، فقرة 67، والناذرات، فقرة 72؛ الكتاب الحبري الروماني، رتبة تكريس العذارى، فقرة 38: صلاة التكريس الاحتفالية؛ الافخولوجيون، أو الكتاب الطقسي اليوناني، ص 384-385؛ الكتاب الحبري حسب الطقس السرياني للغربيين، رتبة الطقوس الرهبانية، مطبعة الفاتيكان (1942)، ص 307-309.

وأما الكهنة الذين يعتنقون المشورات الإنجيلية، فالخبرة **تبرهن أن سرّ الكهنوت يتلقى من هذا التكرّس خصباً خاصاً**، وذلك بأن هذا التكرّس هو بمثابة التزام ورباطٍ أوثق بالسيّد. فالكاهن الذي يعتنق المشورات الإنجيلية يلقى دعماً خاصاً يمكّنه من أن يحيا في ذاته ملء سرّ المسيح، وذلك بفضل ما يجده أيضاً في رهبانيته من روحانية خاصة وطابع رسولي مميّز. فالدعوة إلى الكهنوت والدعوة إلى الحياة المكرّسة عند الكاهن تلتقيان في وحدة عميقة وناشطة.

إن ما يُسديه إلى حياة الكنيسة الرهبان الكهنة المنقطعون كلياً للتأمل له قيمة لا تُقاس. إنهم يقومون، في الاحتفال الافخارستي خصوصاً، بعمل من الكنيسة وللكنيسة، ويضمّون إليه تقدمة ذواتهم، بالاتحاد مع المسيح الذي يقرّب ذاته للآب لخلاص العالم بأسره[57].

العلاقة بين مختلف أنماط الحياة عند المسيحي

31- ثمة ترابط بين الأنماط الحياتيّة المتنوعة التي تندمج فيها حياة الكنيسة، وفقاً لإرادة الرب يسوع؛ ومن المفيد أن نتوقف عنده.

إن المؤمنين جميعاً، بقوة تجدّدهم في معمودية المسيح، يتمتعون بكرامة متساوية. كلهم مدعوون إلى القداسة، وكلهم يساهمون في بناء جسد المسيح الواحد، وكلّ حسب دعوته والمواهب التي نالها من الروح (روم12/3-8)[58] هذه الكرامة المشتركة بين جميع أعضاء الكنيسة هي من عمل الروح وترتكز على المعمودية وعلى التثبيت، تجد لها دعامة في الافخارستيا. ولكن التعدّدية هي أيضاً من عمل الروح الذي يجعل من الكنيسة أسرة عضوية في تنوع الدعوات والمواهب والخدم[59].

الدعوات إلى الحياة العلمانية والخدمة الكهنوتية والحياة المكرّسة يمكن اعتبارها حالات نموذجية، وذلك بأن الدعوات الخاصة، فردية كانت أم مجموعة، تؤول إليها أو ترتبط بها وفقاً لغنى موهبة الله. ثم إنها في خدمة بعضها البعض، لأجل نموّ جسد المسيح في التاريخ وانتشار رسالته في العالم. الجميع، في الكنيسة، يقَدَّسُون بالمعمودية

---

[57] القديس بطرس داميانوس، الكتاب المدعو "الله معكم"، إلى لاون الناسك: الآباء اللاتين 145، 231-252.

[58] المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 32؛ الحق القانوني، قانون 208؛ مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، القانون 11.

[59] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، إلى الأمم، فقرة 4، ونور الأمم ، فقرة 4؛12؛13؛ فرح ورجاء، فقرة 32؛ في رسالة العلمانيين، فقرة 3؛ يوحنا بولس الثاني، العلمانيون المؤمنون بالمسيح، (30 كانون الأول 1988)، فقرة 20-21: أعمال الكرسي الرسولي 81 (1989)، ص 425-428؛ مجمع العقيدة والإيمان، رسالة إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية، في بعض ملامح الكنيسة من حيث هي شركة (28 أيار 1992) فقرة 15: أعمال الكرسي الرسولي 85 (1993)، ص 847.

والتثبيت. وأما الخدمة الكهنوتية والحياة المكرّسة فهما يفترضان دعوةً منفصلة ونمطاً مميّزاً من أنماط التكرّس، في سبيل رسالة خاصة.

رسالة **العلمانيين** الذين من شأنهم "أن يطلبوا ملكوت الله من خلال إدارة الشؤون الزمنية التي ينظمونها بحسب الله"[60]، ترتكز على التكرّس بالمعمودية والتثبيت المشتَرَكين بين أعضاء شعب الله. وأما **أصحاب الدرجات المقدسة**، فعلاوة على هذا التكرّس الأساسي، يتكرّسون بالرسامة ليتابعوا في الزمان الخدمة الرسولية. وأما الأشخاص المكرّسون الذين ينهجون طريق المشورات الإنجيلية، فهم ينالون تكريساً جديداً ومميّزاً، خارجاً عن نطاق الأسرار، يدعوهم إلى اعتناق نمط حياة مارسَه يسوع نفسه واقترحه على تلاميذه، في التبتل والفقر والطاعة. ومع أن هذه الفئات المختلفة يتجلى من خلالها سرّ المسيح الواحد، فالعلمانيون يتميّزون بطابع خاص – وإن لم يكن محصوراً – هو طابع العلمنة، والرعاة بطابع الخدمة المقدسة، والمكرسون بطابع التشبّه الخاص بالمسيح العفيف والفقير والمطيع.

الحياة المكرّسة وقيمتها الخاصة

32- في هذه المجموعة المتناسقة من المواهب، كل نمط أساسي من هذه الأنماط الحياتية يتولّى مهمة التعبير، كلّ في نطاقه، عن ملمح من ملامح سرّ المسيح الواحد. **فالحياة العلمانية تضطلع برسالة مميزة** لإذاعة البشرى الإنجيلية في المجالات الزمنية. والمقامون في **الرتب المقدّسة**، ولا سيما الأساقفة، يمارسون خدمة لا بديل منها في إطار الجماعة الكنسيّة. واجب الأساقفة أن يقودوا شعب الله بتعليم كلام الله وتوزيع الأسرار وممارسة السلطات المقدّسة في خدمة الشركة الكنسيّة، وهي شركة عضوية ومنظمة تنظيماً تراتبياً[61].

ولا بدّ من الإقرار، في ما يختص بمهمة إظهار القداسة في الكنيسة، بأن **الحياة المكرّسة** تحتل **مرتبة مرموقة، من الناحية الموضوعية**، وذلك بأنها تعكس الطريقة التي سلكها المسيح نفسه. ولذا نجد فيها اشعاعاً خاصاً لثروات الإنجيل، وإنجازاً أكمل لهدف الكنيسة، وهو تقديس البشرية. الحياة المكرّسة تعلن وتستبق، نوعاً ما، الدهر الآتي الذي فيه، عندما يحلّ ملء ملكوت السموات الماثل الآن بذرةً وبطريقة سرّية[62]، لا يتزوج أبناء القيامة ولا يزوّجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء (متى 30/32).

---

[60] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 31.

[61] المرجع نفسه، فقرة 12؛ يوحنا بولس الثاني، العلمانيون المؤمنون بالمسيح (30 كانون الأول 1988) الفقرة 20-21: أعمال الكرسي الرسولي 81(1989)، ص 425-428.

[62] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 5.

ولا شك أن سموّ العفة الكاملة لأجل الملكوت[63]، باعتبارها حقاً "باب" الحياة المكرّسة كلها[64]، هو جزءٌ من تعليم الكنيسة الثابت، مع العلم بأن الكنيسة تُجلُّ الدعوة إلى الزواج "حيث الأزواج يزيدون، بشهادتهم ومعاونتهم، في خصب الكنيسة أمّنا، دليلاً منهم واشتراكاً في الحب الذي أحب به المسيح عروسه"[65].

في هذه النظرة التي تشمل كل الحياة المكرّسة، بوسعنا أن نميّز طرائق مختلفة ولكنها متكاملة. فالرهبان **المكرّسون لحياة التأمل** هم، بطريقة مميزة، صورة للمسيح المكبّ على التأمل وهو في الجبل[66]. والأشخاص المكرّسون الذين يتعاطون حياة العمل يمثّلونه "وهو يبشر الجماهير بملكوت الله، ويبرئ المرضى وذوي الأسقام، ويردّ الخطأة إلى طريق الخير، أو يبارك الأولاد ويفيض على الجميع من فضله"[67]. والأشخاص المكرّسون في **المؤسسات العلمانية** يخدمون على طريقتهم مجيء ملكوت الله، ويؤلّفون، في صيغة مميّزة، بين قيم التكرّس وقيم الحياة الدنيويّة. إنهم يعيشون تكرّسهم في الدنيا وانطلاقاً من الدنيا[68]، "ويسعون إلى بثِ روح الإنجيل في كل شيء، في سبيل تغذية جسد المسيح ونموّه"[69]. لهذا الغرض يساهمون مع الكنيسة في عمل التبشير بشهادة سيرتهم المسيحية والتزاماتهم الهادفة إلى تنظيم الشؤون الزمنية بحسب الله، وبمشاركتهم في خدمة الجماعة المسيحية وفقاً لنمط حياتهم العلمانية[70].

الشهادة لإنجيل التطويبات

33- من الوظائف الخاصة، في الحياة المكرّسة، مساعدة المعمّدين **في الحفاظ على وهج وعيهم للقيم الإنجيلية الأساسية**، "مؤدّين شهادة ناصعة وسامية أن العالم لا يستطيع أن يتحوّل ويُقرّب لله بدون روح التطويبات"[71]. هكذا بفضل الحياة المكرّسة تبقى ماثلة في وعي شعب الله ضرورة الاستجابة، بقداسة السيرة، لحب الله الفائض في القلوب بالروح القدس (روم 5/5)، وذلك بأن تعكس الحياةُ المكرّسة، في التصرف اليومي، القداسة التي يحققها الله بواسطة سرّ المعمودية والتثبيت أو بواسطة سرّ الكهنوت. فإنه ينبغي الانتقال من القداسة التي نحظى بها بواسطة الأسرار إلى

---

[63] المجمع التريدنتي، الجلسة 24، القانون 10، عد 1810؛ بيوس 12، العفة المقدسة (25 آذار 1954): أعمال الكرسي الرسولي 46، (1954)، ص176.

[64] التوصية 17.

[65] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 41.

[66] المرجع نفسه، فقرة 46.

[67] المرجع نفسه.

[68] بيوس الثاني عشر، الإرادة الرسولية "المخطوط أولاً"، (12 آذار 1948)، فقرة 6: أعمال الكرسي الرسولي 40 (1948)، ص 285.

[69] الحق القانوني الغربي، قانون 713، بند 1؛ مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، قانون 563، بند 2

[70] الحق القانوني الغربي، قانون 713، بند 2؛ في نفس هذا القانون 713، بند 3، نجد إسارة خاصة إلى "الأعضاء الإكليريكيين" في المؤسسات العلمانية.

[71] المرجع نفسه، فقرة 31.

قداسة السيرة اليومية. الحياة المكرّسة، بمجرّد وجودها في الكنيسة، تساهم في تقديس حياة جميع المؤمنين العلمانيين والإكليروس.

ومن جهة أخرى يجب ألاّ يفوتنا أن الشهادة النابعة من الدعوات الأخرى تدعم المكرّسين ليعيشوا ملء اعتناقهم لسرّ المسيح والكنيسة في أبعاده المتعددة. بفضل هذه الثروة المتبادلة تصبح رسالة الحياة المكرّسة اكثر بلاغة وفعلاً: وقوامها أن يُظهر المكرّسون لإخوتهم وأخواتهم الآخرين، وهم شاخصون إلى السلام الآتي، الهدف المنشود، وهو السعادة المقيمة بقرب الله.

الصورة المعبّرة للكنيسة – العروس

34- المعنى العُرسيّ للحياة المكرّسة يكتسب أهمية خاصة، فهو يوحي بما يترتب على الكنيسة من ضرورة التكرّس كلياً لعريسها الذي منه تستمد كل خير. في هذا الطابع العُرسيّ الذي تتميّز به الحياة المكرّسة، تجد المرأة خصوصاً هويتها، وتكتشف نوعاً ما قيمة ارتباطها المميّز بالرب.

في هذا الصدد، نجد في العهد الجديد صفحة معبّرة جداً تصوّر لنا مريم مع الرسل في العليّة، في صلاة وانتظار للروح القدس (رسل 13/1-14). بالامكان أن نتوّسم هذا المشهد صورة صورة بليغة للكنيسة العروس، متنبهة لإيحاءات العريس ومستعدّة لاتسقباله عطيّة لها. أما بطرس وسائر الرسل ففيهم يتجلّى خصوصاً طابع الخصب الروحي في نطاق الخدمة الكنسية، التي يستعملها لإنجاب أبناء جّدد، وذلك بتوزيع الكلمة والاحتفال بالأسرار والاضطلاع بالمهام الراعوية. وأما في مريم فتتجلّى خصوصاً صفة الاستقبال التي بها تُنمي الكنيسة في ذاتها الحياة الإلهية، بحبها العذري.

لقد أقيمت الحياة المكرّسة دائماً، وبطريقة مميّزة، إلى جانب العذراء، مريم العروس. من هذا الحب العذري ينبع خصب خاص يساهم في ولادة الحياة الإلهية ونموّها في القلوب[72]. إن الشخص المكرّس السائر في خطى مريم، حواء الجديدة، يُحقّق خصبه الروحي بانفتاحه على الكلمة الإلهية ومشاركته في بناء البشرية الجديدة بتضحيته اللامشروطة وشهادة سيرته الحيّة. هكذا تتجلّى أمومة الكنيسة تجلياً كاملاً بالاشتراك في العمل الإلهي الموكول إلى بطرس وبتقبُّل النعمة الإلهية التي تتمّيز بها مريم تقبُّلاً مسؤولاً.

[72] القديسة تريزيا أمة الطفل يسوع، مخطوطات سيرتها الذاتية، ب، 2: "أودّ أن أكون عروسك، يا يسوع، [...]. أودّ أكون، باتحادي بك، أمّاً للنفوس".

ويجد الشعب المسيحي في الخدمة الكهنوتية المقدسة وسائل الخلاص، وفي الحياة المكرّسة حافزاً لتلبية جميع أشكال الخدمة المسيحية، تلبية كاملة وبدافع المحبة[73].

4- بهدي روح القداسة

حياة "متجلّية": الدعوة إلى القداسة

35- "فلما سمع التلاميذ ذلك، سقطوا على وجوههم وقد استولى عليهم خوف شديد" (متى 6/17). في رواية التجلّي يركّز الإنجيليون الإزائيون على شعور الخوف الذي استولى على التلاميذ. فاندهاشهم بمحيّا المسيح المتجلّي لم يُحلْ دون شعورهم بالخوف بإزاء ما تخطَّاهم من عظمة الجلال الإلهي. عندما يتراءى مجد الله، يختبر الإنسان صغارته ويوجس شعوراً بالخوف. "مثل هذا الخوف يحمل الخلاص للإنسان ويذكّره بالكمال الإلهي، وفي الوقت نفسه، يُهيمن عليه كنداء إلى "القداسة" قوي وملزم".

كل أبناء الكنيسة الذين يدعوهم الآب إلى "سماع" يسوع **لا يسعهم إلاّ أن يوجسوا نداءً عميقاً إلى التوبة والقداسة**. ولكن هذا النداء ، كما نوّه بذلك السينودس، يتوجه أولاً إلى الحياة المكرّسة. والواقع أن دعوة الأشخاص المكرّسين إلى التماس ملكوت الله قبل أي شيء آخر هي أولاً نداء إلى التوبة الكاملة، والتجرد من الذات للعيش كليّاً في الرب، فيصير الله كلاًّ في الكل. المكرّسون المدعوّون إلى تأمل وجه المسيح المتجلّي ليكونوا له شهوداً هم مدعوّون أيضاً إلى حياة "متجلّية".

إن ما تضمنه "**التقرير" الأخير** للجمعية الاستثنائية الثانية من السينودس، هو على جانب كبير من البلاغة: "لقد كان القديسون والقديسات دوماً، عبر تاريخ الكنيسة كله، نبعاً ومصدراً للتجدّد في أصعب الظروف. ونحن لا نزال اليوم بحاجة قصوى إلى قديسين يجب أن نلتمسهم من الله بلا انقطاع. إن مؤسسات الحياة المكرّسة، عندما تعتنق المشورات الإنجيلية، يجب أن تدرك رسالتها المميزة في كنيسة اليوم، وعلينا نحن أن نُحثَّهم على الاضطلاع برسالتهم"[74]. إن آباء هذه الجمعية السينودسية التاسعة قد ردّدوا هذه الأفكار بقولهم: "إن الحياة المكرّسة ظلت، عبر

---

[73] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 8؛ 10؛ 12.

[74] سينودس الأساقفة، الجمعية العمومية الاستثنائية الثانية، التقرير الأخير، الكنيسة المحتفلة بأسرار المسيح لخلاص العالم (7 كانون الأول 1985)2 أ، فقرة 4: الوثائق الكاثوليكية 83 (1986)، ص 38.

تاريخ الكنيسة، أثراً حياً لعمل الروح هذا، وشبه مساحة ممتازة لمحبة الله والقريب ودليلاً على ما أراده الله من أن يجعل من البشرية كلها، في حضارة المحبة، أسرة أبناء الله الكبرى[75].

وقد توسَّمت الكنيسة دوماً في اعتناق المشورات الإنجيلية طريقاً مميزاً إلى القداسة. ويتبيّن من التعابير نفسها التي تصفه بها الكنيسة – مدرسة خدمة الرب، مدرسة محبة وقداسة، طريق كمال أو حالة كمال – قوّةُ الوسائل وثروة الأساليب التي يتميّز بها هذا النمط من الحياة الإنجيلية، وكذلك الالتزام الخاص عند الذين يعتنقونه"[76]. وليس جزافاً أن كثيراً من المكرّسين، عبر الأجيال، خلّدوا شهادات قداسة بليغة، وحققوا بنجاح مبادرات بشارة وخدمة على جانب كبير من السخاء والمشقة.

الأمانة للموهبة

36- **في اتباع المسيح،** وفي محبة شخص المسيح، لا بدّ اليوم من التنويه، بطريقة خاصة، ببعض الأمور المتصلة بتطوّر القداسة في الحياة المكرّسة.

المطلوب أولاً الأمانة **لموهبة التأسيس،** وللتراث الروحي الذي تجمّع، في ما بعد، في كل مؤسسة. هذه الأمانة لوحي المؤسِّسين والمؤسِّسات – وهو هبة من الروح القدس – تمكّننا من أن نجد ونعيش ثانية العناصر الجوهرية للحياة المكرّسة.

ولا غرو، فكل موهبة تتضمن، في صميم مكوّناتها، اتجاهات ثلاثة: **نحو الأب** أولاً مع الرغبة في التماسهِ بنوياً في توبة مستديمة، تجعل من الطاعة ينبوع حرية حقيقية، ومن العفة عبارة عن قلب مشدود إلى الله لا يرويه أي حب محدود، ومن الفقر طعاماً يشبع جوعنا وعطشنا إلى البرّ الذي وعدنا الله إرواءَه (متى 6/5). في هذا الاتجاه، يجد الشخص المكرّس، في موهبة المؤسسة التي ينتمي إليها، ما يحفزه إلى أن يكون كلياً لله ويتحدث مع الله وعن الله، كما قيل في القديس دومنيك[77]، ويذوق ما أطيب الرب (مز 34/38-9) في كل الظروف.

مواهب الحياة المكرّسة تتضمن أيضاً اتجاهاً نحو **الابن،** وتدعو إلى أن يكون للمكرّسين شركة حياة حميمة وبهيجة مع المسيح، ويتدربوا في مدرسة سخائه في خدمة الله وإخوته. "وفيما "**يتمسحن**" النظر، شيئاً فشيئاً، يتعلم

---

[75] سينودس الأساقفة، الجمعية العمومية العادية التاسعة، البلاغ السينودسي الأخير (27 تشرين الأول 1994)،9:الوثائق الكاثوليكية 91(1994)، ص 985.

[76] القديس توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، 2-2، المسألة 184، أ 5، الرد على 2؛ 2-2، المسألة 186، أ، 2، الرد على 1.

[77] كتاب مبادئ رهبانية الإخوة الوعّاظ، أعمال إعلان قداسة القديس دومنيك: الآثار التاريخية لرهبانية الإخوة الوعّاظ 16 (1935)، ص 30.

كيف يتنَزَّه عن الظواهر، وعن دوّامة الحواس، وعن كل ما يمنع الإنسان من أن يكتسب من الطواعيّة ما يؤهله للانقياد للروح[78]. وفي هذا ما يمكّن الإنسان من مشاركة المسيح رسالته والعمل والتأمل معه، للمعاونة في بشارة الملكوت.

وأخيراً، كل موهبة تتضمن اتجاهاً **نحو الروح القدس**، وذلك بأن الروح يدعو الإنسان إلى أن يتلقى منه الهدي والدعم، في مسيرته الروحية الخاصة، كما في الحياة المشتركة والعمل الرسولي، فيعيش في حالة استعداد للخدمة التي يجب أن تلهم كل خيارات المسيحي الصادق.

هذه العلاقة المثلثة هي التي تنجم دائماً عن كل المواهب التأسيسية، وإن ظهرت بالملامح الخاصة التي تنفرد بها الأنماط الحياتيّة على أنواعها، وذلك بأن تلك المواهب يسودها "رغبة في النفس عميقة تدفعها إلى التشبه بالمسيح، والشهادة لملمح من ملامح سرّه[79]، وتلك صفة يجب أن تتجسم وتتطوّر في تقليد المؤسسة الصحيح، طبقاً للقواعد والفرائض والقوانين[80].

أمانة وإبداع

37- المؤسسات مدعوّة إذن إلى التسلُّح بالشجاعة لتستعيد الروح الناشطة وصفة الإبداع والقداسة لدى المؤسيين والمؤسسات، استجابة "لعلامات الأزمنة" التي تلوح في عالمنا المعاصر[81]. نحن هنا بإزاء نداء إلى الاستمرار في طريق القداسة، من خلال المصاعب الماديّة والروحية التي تعترضنا في خضم التقلبات اليومية. ولكنه أيضاً نداء إلى امتلاك خبرة حسنة في عملنا والاستمرار في رسالتنا بأمانة واندفاع، وتطويع الأساليب – إذا اقتضى الأمر – للظروف الجديدة والحاجات المتنوعة، وذلك بكامل الانقياد للوحي الإلهي والتمييز الكنسي. وفي كل حال، يجب أن يرسخ فينا اليقين أن السعي إلى التشبّه أكثر فأكثر بالرب هو الشرط لكل تجدّد سليم، وكل رغبة في التمسك بالأمانة لوحي الجذور[82].

---

[78] يوحنا بولس الثاني، نور الشرق، (2 أيار 1995)، فقرة 12: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 758.

[79] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، ومجمع الأساقفة، توجيهات في شأن العلاقات بين الأساقفة والرهبان في الكنيسة، العلاقات المتبادلة، (14 أيار 1978)، فقرة 51: أعمال الكرسي الرسولي 70 (1978)، ص 500.

[80] التوصية 26.

[81] التوصية 27.

[82] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 2.

في هذا الروح، يبدو من الضروري اليوم أن تعمد **جميع المؤسسات إلى تجديد اعتبارها لقوانينها**، وذلك بأن القوانين والفرائض ترسم طريقاً **لاتباع المسيح** يعكس موهبة خاصة مع موافقة الكنيسة. فإذا اعتبر الأشخاص المكرّسون قوانينهم اعتباراً أدق، وجدوا، ولا شك، فيها مقاييس آمنة للبحث عن أشكال ملائمة من الشهادة تتماشى مع مقتضيات العصر دون ابتعادٍ عن الفكرة التأسيسية.

صلاة وتروّض: الجهاد الروحي

38- الدعوة إلى القداسة لا يمكن أن تُسمع وتلبَّى إلاّ **في صمت العبادة الخاشعة** أمام السموّ اللامتناهي. "لا بدّ من الإقرار بأننا جميعنا بحاجة إلى هذا الصمت الآهل بحضور إلهي: فاللاهوت بحاجة إلى الصمت، لتتجلّى فيه نفحة الحكمة والتقوى والصلاة لنتذكّر دائماً أن رؤية الله تفترض الهبوط من الجبل بوجه مشرق بحاجة إلى برقع يستر وهج ضيائه (خر 33/34) [...] والالتزام لنقلع عن الانطواء في صراع لا حبّ فيه ولا غفران. [...] الجميع، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين، بحاجة إلى تعلّم قيمة الصمت الذي يتيح لله أن يتكلم أينما وكيفما شاء، ويتيح لنا أن نفهم هذا الكلام"[83]. عملياً، يفترض ذلك تقيداً كبيراً بالصلاة الليترجية والشخصية، وبالأوقات المخصصة للتأمل والسجود الافخارستي والخلوات الشهرية والرياضات الروحية.

ولا بدّ أيضاً من أن نستعيد **وسائل التروّض** المعهودة في التقاليد الروحية في الكنيسة وفي كل مؤسسة. هذه الوسائل كانت ولا تزال بمثابة دعم قوي للسير نحو القداسة في الطريق الصحيح. فالتروّض يساعدنا في السيطرة على الطبيعة البشرية الجريحة بالخطيئة وتقويمها. ولا بدّ منه للشخص المكرّس ليبقى وفياً لدعوته ويتبع يسوع على طريق الصليب.

ولا بدّ أيضاً من أن نكشف ونغلب بعض التجارب التي تظهر لنا أحياناً، بمراوغة الشيطان، بمظاهر الخير. فالرغبة المشروعة، مثلاً، في التعرف على المجتمع المعاصر لمواجهة تحدياته، يمكن أن تجرّنا إلى التأثر بتيارات العصر وانخفاض حرارتنا الروحية والوقوع في التراخي. وبدافع البلوغ إلى تنشئة روحية راقية، بإمكان الأشخاص المكرّسين أن يوجسوا شعوراً بالتفوق على غيرهم من المؤمنين، كما أن ضرورة التأهل وإلزامية التخصص المشروع يمكن أن تتحوّلا إلى نمط من السعي المفرط وراء المكاسب الفعّالة، كما لو كانت الخدمة الرسولية منوطة خصوصاً بالوسائل البشرية لا بنعمة الله. والرغبة الحميدة في التقرب من رجال ونساء عصرنا المؤمنين وغير المؤمنين، الفقراء والأغنياء، يمكن أن تسوقنا إلى انتحال نمط من الحياة المعلمنة أو التنويه بالقيم الإنسانية على صعيد أفقي محض. والمشاركة في ترقبات

[83] يوحنا بولس الثاني، نور الشرق (2 أيار 1995)، فقرة 16: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 762.

الشعب المشروعة وفي ثقافته يمكن أن تهيب بنا إلى اعتناق بعض أشكال من القومية أو التمرس بأعرافٍ علينا، بالعكس، أن نطهرها ونكملها في ضوء الإنجيل.

الطريق الذي يؤدي إلى القداسة يفترض إذن **ارتضاء الجهاد الروحي**. وذلك مقتضى لا يتمتع اليوم بما يستحقه من الرعاية. لقد توسَّم التقليد مراراً في الجهاد الروحي صورة صراع يعقوب مع السرّ الإلهي الذي جابهه ليكسب بركته ويبلغ إلى رؤيته (تك 32/23-31). بوسع الأشخاص المكرّسين أن يقرأوا في هذا الفصل من أصول التاريخ الكتابي رمز التمرس بالجهاد الروحي، فيتسع بذلك قلبهم وينفتح على الله وعلى إخوتهم.

تعزيز القداسة

39- من الضروري، اليوم أكثر من أي يوم مضى، أن يجدِّد الأشخاص المكرّسون اندفاعهم في طريق القداسة **ليساعدوا ويدعموا، عند كل مسيحي**، البحث عن الكمال. "من الضروري إذن أن نبعث في جميع المؤمنين توقاً حقيقياً إلى القداسة ورغبة شديدة في التوبة والتجدّد الشخصي، في جوّ من الصلاة المتوقّدة أكثر فأكثر، والتضامن في استقبال القريب، وبخاصة الأكثر عوزاً"[84].

إن الأشخاص المكرّسين بمقدار ما يرسّخون صداقتهم مع الله، بتأهبون لنجدة إخوتهم وأخواتهم، بفضل مبادرات مفيدة، على الصعيد الروحي كمعاهد الصلاة مثلاً والرياضات والخلوات الروحية، وفترات التوحد، والإصغاء والإرشاد الروحي، وهكذا يواكبون ما يحرزه الأشخاص من تقدّم في الصلاة، فيتمكنون، إذ ذاك، من أن يميّزوا، بوجه أفضل، إرادة الله فيهم، ويحققوا ما يطلبه منهم الإيمان من خيارات شجاعة بل بطولية أحياناً. ولا بدع، فالأشخاص المكرّسون "يندمجون، بأعمق عمق كيانهم، في دينامية الكنيسة المتعطشة إلى مطلقية الله، والمدعوّة إلى القداسة. تلك هي القداسة التي يشهدون لها"[85]. وأن يكون الجميع مدعوّين إلى القداسة ففي ذلك ما يحفز الذين، من منطلق نمط الحياة الذي اختاروه، يضطلعون بمسؤولية تذكير الآخرين بهذا النداء.

"قُوموا، لا تخافوا": ثقة مجدّدة

40- "دنا يسوع ولمسهم وقال لهم: "قوموا لا تخافوا" (متى 7/17). الأشخاص المكرّسون، على غرار الرسل يوم التجلّي، يعلمون بالخبرة أن حياتهم ليست دائماً مشرقة بالحرارة الحسيّة التي حملتهم على القول: "حسن أن نكون ههنا!" (متى 4/17). ومع ذلك، فحياتهم هي دائماً حياة "يلمسها" المسيح بيده، ويخامرها صوته وتدعمها نعمته.

---

[84] يوحنا بولس الثاني، اطلالة الألف الثالث (10 تشرين الثاني 1994) فقرة 42: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 32.

[85] بولس السادس، البشارة بالإنجيل (8 كانون الأول 1975)، فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 68 (1976)، ص 58.

"قوموا، لا تخافوا". تشجيع المعلّم هذا يتوجه طبعاً إلى كل مسيحي، ولكنه يصح أكثر في الذين دعاهم الله إلى أن "يتركوا كل شيء"، و"يغامروا"، بالتالي بكل شيء لأجل المسيح. ويصح هذا خصوصاً كل مرة نهبط من "الجبل" لنسلك الطريق المؤدية من تابور إلى الجلجلة.

عندما يتكلّم لوقا عن موسى وإيليا وهما يخاطبان المسيح في شأن سرّه الفصحي، بطريقة معبّرة، فهو يستعمل كلمة "**نزوح**" (EXODE):"**وأخذا يتحدثان "بالنُزوح" أي الميتة التي سيلقاها في أورشليم**" (لو 31/9). "النُزوح" لفظة رئيسية في قاموس الوحي. بها يرتبط كل تاريخ الخلاص، وتتضمن، في العمق، معنى السرّ الفصحي. هذا مدلول له معزّة خاصة في روحانية الحياة المكرّسة التي تعبّر تعبيراً بليغاً عن فحواها. إنه يتضمن، ولا شك، ما يتعلّق **بسرّ الصليب**. ولكن "طريق النُزوح" هذه، مع ما تفترضه من مشقّات، تبدو، من زاوية جبل ثابور، منبسطة بين نورين: نور التجلي المؤذن بالمستقبل، ونور القيامة في سطوعه النهائي.

إن الدعوة إلى الحياة المكرّسة – من زاوية الحياة المسيحية بجملتها – وبالرغم مما تنطوي عليه من تجردات ومحن، أو بالأحرى بسببها، إنما هي **طريق "نور"**، يحنو عليها نظر الفادي: "قُوموا، لا تخافوا".

الفصل الثاني

علامة أخوّة

الحياة المكرَّسة علامة شركة في الكنيسة

1– قيم ثابتة

على صورة الثالوث

41- إن الرب يسوع، مدَّة حياته الأرضية، دعا الذين أرادهم ليكونوا بقربه ويُعِدَّهم لأن يعيشوا، على غراره، لأجل الآب، ولأجل الرسالة التي تلقاها (مر 3/1-15). وبذلك أنشأ المسيح الأسرة الجديدة التي سوف تضمّ، عبر الأجيال، المستعدّين لأن "يعملوا بمشيئة الله" (مر 3/32-35). بعد الصعود، وبنعمة الروح، تألفت حول الرسل جماعة أخوية اجتمعت على حمد الله وفي خبرة حياة مشتركة ملموسة (رسل 2/42-47؛ 4/32-35). حياة هذه الجماعة وخبرة الاثني عشر الذين كانوا قد قاسموا المسيح كلَّ شيء، لبثتا دائماً النموذج الذي استوحته الكنيسة، كل مرة رامت أن تستعيد حرارة الأزمنة الأولى، وتواصل مسيرتها في التاريخ بعزمٍ إنجيلي متجدّد[86].

والواقع **أن الكنيسة، في جوهرها، هي سرّ شركة**، "شعب متحد في وحدة الآب والابن والروح القدس"[87]. وهدف الحياة الأخوية أن تعكس هذا السرّ في عمقه وغناه، وتبتني ذاتها مساحةً بشرية يسكنها الثالوث وتواصل هكذا في التاريخ مواهب الشركة النابعة من الأقانيم الإلهية الثلاثة. للشركة الأخوية في حياة الكنيسة نطاقات وتعابير كثيرة. ولا شك أن الحياة المكرَّسة قد ساهمت مساهمة فعالة في الحفاظ على مقتضى الأخوَّة في الكنيسة، واعتبارها اعترافاً بالثالوث. ولقد عززت دوماً المحبّةَ الأخوية، وبخاصة في إطار الحياة المشتركة، وبرهنت بذلك على أن **المشاركة في الحياة الثالوثية بوسعها أن تبدّل العلاقات البشرية**، وتقيم نمطاً جديداً في التضامن. وهي، بهذه الطريقة، تظهر للناس جمال المشاركة الأخوية والطرق العمليّة التي تفضي اليها. ولا بدع، فالأشخاص المكرَّسون يعيشون "لله" "ومن الله"، وبمقدورهم، من ثم، أن يعلنوا قدرة النعمة في عمل المصالحة التي تقوّض قوى الانقسام القابعة في قلب الإنسان وفي العلاقات المجتمعية.

---

[86] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبّة الكاملة، فقرة 15؛ القديس أوغسطينوس، قانون خدام الله، 1، 1: الآباء اللاتين 32، 1372.

[87] القديس كبريانوس، **الصلاة الربّانية**، 23: الآباء اللاتين 4، 553؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 4.

حياة أخوية في المحبّة

42- الحياة الأخوية، إذا اعتبرناها حياة مشاركة في المحبّة، هي علامة معبّرة للشركة الكنسية. ونراها موضوع رعاية وعناية كبيرة في المؤسسات الرهبانية وجمعيات الحياة الرسولية حيث تكتسب الحياة المشتركة معنىً خاصاً[88]. ولكن طابع الشركة الأخوية ليس غريباً أيضاً عن المؤسسات العلمانية ولا عن الحياة المكرَّسة في أنماطها الفردية. وحتى النساك، في عمق عزلتهم، لا يتملصون من الشركة الكنسية، بل يمارسونها وفقاً لموهبتهم التأملية المميّزة. والعذارى المكرَّسات في العالم يعشّن تكرّسهنّ في علاقة حقيقية وشركة راهنة مع الكنيسة الخاصة أو الجامعة. وكذلك المكرَّسون من الرجال والنساء والأرامل.

كل هؤلاء الأشخاص، حتى الذين يعيشون بصفتهم تلاميذ حالتَهم الإنجيليّة، يتعهدون بممارسة "وصية الربّ الجديدة" محبين بعضهم بعضاً كما هو أحبهم (يو 34/13). لقد أفضى الحب بالمسيح إلى بذل ذاته حتى الذبيحة القصوى، ذبيحة الصليب. في ما بين التلاميذ أيضاً، لا يمكن أن تقوم وحدة حقيقية بمعزل عن هذا الحب المتبادل غير المشروط الذ يتطلب الأهبة للخدمة بلا حساب والاستعداد لتقبل الآخر كما هو، بلا "دينونة" (متى 7/ 1-2) والقدرة على المسامحة حتى "سبعين مرة سبع مرات" (متى 22/18). عند الأشخاص المكرَّسين، المتحدين "قلباً واحداً ونفساً واحدة" (رسل 32/4)، بفعل هذا الحب الذي يفيضه الروح القدس في القلوب (روم 5/5)، يصبح من الضرورة الباطنة أن يصير كل شيء مشتركاً، وكذلك المثل الرسولية والمحبة الخادمة: "في الحياة المشتركة قوة الروح العاملة في الفرد تنتقل إلى الجميع في آنٍ واحد [...] كل فردٍ يستفيد من مواهبه الخاصة، ويضاعفها إذا وزعها على الآخرين، وينعم هكذا بمواهب الآخرين وبمواهبه الشخصية"[89].

في حياة الجماعة الجماعة لا بدّ من أن ندرك، نوعاً ما، أن الشركة الأخوية، قبل أن تكون وسيلة رسالة معيّنة، هي موقع إلهيّ، بالإمكان أن نختبر في الحضور السرّي للرب الناهض من بين الأموات (متى 20/18)[90]. هذا يتحقق عند من يكوّنون الجماعة بقوة الحب المتبادل يغذيه كلام الله والإفخارستيا وينقّيه سرّ المصالحة وتدعمه الصلاة لأجل الوحدة، وهي عطية الروح لمن يصغون إلى الإنجيل إصغاءً مشبعاً بالطاعة. فالروح هو الذي يدخل النفس في الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح (1 يو 3/1) وهي ينبوع الحياة الأخوية. الروح القدس هو الذي يوجّه جماعات الحياة المكرَّسة في تحقيق رسالة الخدمة للكنيسة وللإنسانية كلها طبقاً لفكرتها الأصلية.

---

[88] التوصية 20.

[89] القديس باسيليوس، القوانين الكبرى، المسألة 7، 2: الآباء اليونان 31، 931.

[90] القديس باسيليوس، القوانين الصغرى، المسألة 255: الآباء اليونان 31، 1231.

في هذا المنظار تكتسب المجامع العمومية أو الخاصة (أو الاجتماعات المشابهة) أهمية خاصة؛ في مثل هذه الأطر، تُدعى كل مؤسسة إلى انتخاب الرؤساء أو الرئيسات، وفقاً للقواعد المثبتة في الفرائض، وإلى تمييز الطرق المناسبة، في ضوء الروح، للمحافظة على طابعها وتراثها الروحي وتحديثهما وفقاً لمختلف الأوضاع التاريخيّة والثقافيّة[91].

مسؤولية السلطة

43- في الحياة المكرَّسة، كان دوماً للرؤساء والرئيسات العامين والمحليين **دورٌ على جانب كبير من الأهمية للحياة** الروحيَّة كما للرسالة. في هذه الأيام المطبوعة بطابع البحث والتغيير، ساد الشعور أحياناً بضرورة إعادة النظر في هذه الوظيفة. ولكن لا بدَّ من الإقرار بأن الذين يمارسون السلطة **لا يجوز لهم التنازل عن واجباتهم**، بصفتهم المسؤولين الأولين عن الجماعة، ومرشدي إخوتهم وأخواتهم في مسيرتهم الروحيّة والرسوليّة.

ليس من السهل، في الأوساط الموسومة عميقاً بالفردانية، الاعتراف والترحيب بالدَور الذي تمارسه السلطة لصالح الجميع. ومع هذا لا بدّ من أن نؤكّد ثانية أهمية هذه الوظيفة التي تتضح ضرورتها لتدعيم الشركة الأخوية، وعدم الإطاحة بالطاعة المنذورة. لا شك أن السلطة يجب أن تكون أولاً أخوية روحيّة، وأن أصحاب السلطة يجب أن يعرفوا، بالتالي، كيف يُشركون إخوتهم وأخواتهم في صيرورة القرار، ولكن لا بدَّ، مع ذلك، من أن نتذكر أن **الكلمة الأخيرة ترجع للسلطة** وأن السلطة هي المسؤولة بعدئذٍ عن تطبيق القرارات المتخذة[92].

دور الأشخاص المسنين

44- رعاية المسنين والمرضى لها دور كبير في الحياة الأخوية، ولا سيّما في مثل عصرنا حيث عدد الأشخاص المكرَّسين المتقدمين في الشن على ازدياد في بعض مناطق العالم. إن ما نبادرهم به وما يستحقونه من بوادر الإكرام لا يلبي فقط واجب محبة وامتنان، بل يعبّر أيضاً عن اليقين بأن شهادة حياتهم مفيدة جداً للكنيسة كما للمؤسسات الرهبانية، وأن رسالتهم لا تزال قيِّمة وإن اضُطروا إلى التنازل عن وظيفتهم بسبب السنِّ أو المرض. **بإمكانهم، ولا شك، أن يؤدوا الكثير** من الحكمة والخبرة للجماعة، إذا قُدِّ لهذه أن تظل بقربهم وتحوّطهم بالعناية وتصغي إليهم.

---

[91] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، عناصر أساسية من تعليم الكنيسة في الحياة المكرَّسة (31 أيار 1983)، الفقرة 51: الوثائق الكاثوليكية 80 (1983)، ص 983؛ الحق القانوني الغربي، قانون بند 631، بند 1؛ مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، قانون 512، بند 1.

[92] مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية ضمن الجماعة، "حب المسيح جمعنا واحداً" (2 شباط 1994)، فقرة 47-53: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 425-426؛ الحق القانوني الغربي، قانون 618؛ التوصية 19.

الحقيقة أن المهمة الرسولية، قبل أن تكون عملاً، إنما هي شهادة استسلام كامل لإرادة الربّ المخلّصة، تستمدّ قوتها من ينابيع الصلاة والتوبة. المسنون مدعوّون إذن إلى تحقيق دعوتهم بطرق متعدِّدة: الصلاة المتواصلة، الرضا الصابر بظروف حياتهم، الأهبة للخدمة في الإرشاد الروحي وسماع الاعترافات والإرشاد في الصلاة[93].

على صورة الجماعة الرسولية

45- الحياة الأخوية عنصر جوهري في المسيرة الروحية التي ينهجها الأشخاص المكرَّسون، لتجدّد مستمر واضطلاع كامل برسالتهم في العالم: وينجم ذلك عن الاعتبارات اللاهوتية التي ترتكز عليها، ومن الخبرة ذاتها وما ينبع منها من إثباتات مستفيضة. إني أحض إذن الأشخاص المكرَّسين أن يرعوا الحياة الأخوية رعاية حثيثة، على غرار المسيحيين الأوليين في اورشليم الذين كانوا مواظبين على الاستماع إلى تعاليم الرسل والصلاة الجماعية والاشتراك في الافخارستيا، وتقاسم الخيور المادية والروحية (رسل 2/42-47). وأحث خصوصاً الرهبان والراهبات وأعضاء جمعيات الحياة الرسولية على أن يمارسوا، بلا تحفظ، المحبة المتبادلة ويعبروا عنهم بالطريقة التي تناسب طبيعة مؤسستهم، فتصبح كل جماعة منارة في أورشليم الجديدة، "بيت الله والناس" (رؤ 3/21).

الكنيسة كلها تعتمد كثيراً على شهادة الجماعات الثرية "بالفرح والروح القدس" (رسل 52/13). وهي ترغب في أن تقدِّم للعالم مثال جماعات حيث الرعاية المتبادلة تساعد في تخطي العزلة، وحيث المبادلة تدفع كل واحد إلى الشعور بالمسؤولية المشتركة، وحيث المسامحة تلأم الجروح وتدعم الجميع في التزامهم واجب الشركة. في مثل هذه الجماعات، طبيعة الموهبة توجّه الطاقات وتدعم الأمانة وترشد الجميع في سعيهم الرسولي في سبيل الرسالة الواحدة. ولكي تتمكن الكنيسة من أن تُظهر للعالم المعاصر وجهها الحقيقي، فهي بحاجة ماسَّة إلى مثل هذه الجماعات الأخوية. فهي، بمجرد وجودها، تساهم في عمل البشارة الجديدة، وتظهر بوضوح ثمار "الوصية الجديدة".

التعاطف مع الكنيسة

46- تتولّى الحياة المكرَّسة مهمّة خطيرة، وذلك خصوصاً في ضوء ما تعلّمه الكنيسة من جهة كونها شركة، وذلك ما عرضه المجمع الفاتيكاني الثاني بكثير من القوة. إن ما يُطلب من الأشخاص المكرَّسين هو أن يكونوا حقيقة خبراء في ممارسة الحياة المشتركة وتطبيق روحانيتها[94]، بصفتهم "شهوداً ومنّفضين لفكرة الشركة التي تتوّج تاريخ الإنسان

[93] المرجع ذاته، فقرة 68: الموضوع المشار اليه، ص 432-433؛ التوصية 21.

[94] التوصية 28.

بحسب الله" [95]. إن مفهوم الشركة الكنسيّة الذي أصبح بمثابة **روحانية للحياة المشتركة**، يشجع نمطاً في التفكير والتكلّم والعمل، يدفع الكنيسة إلى التقدم عمقاً واتساعاً. ولا غرو فحياة المشاركة تصبح آية للعالم وقوة جاذبة تفضي إلى الإيمان بالمسيح [...]. بهذه الطريقة، ينفتح معنى المشاركة على الرسالة، وتصبح المشاركة هي نفسها رسالة"، بل إنّ "**المشاركة تولّد المشاركة، وتَظهر جوهرياً بمثابة مشاركة رسولية**" [96].

لقد برهن المؤسِّسون دائماً عن عميق وعيهم لمعنى الكنيسة، وقد تجلّى في اشتراكهم الكامل في حياة الكنيسة في كل أبعادها، وبطاعتهم الفوريَّة للرعاة ولا سيما للحبر الروماني. من منطلق هذا الحب للكنيسة المقدَّسة "عمود الحق وركنه" (1 طيم 15/3) نفهم ما كان يكنه فرنسيس الأسيزي "للسيد البابا" من مشاعر الإخلاص[97]، وما عُرف عن القديسة كاترين السيناوية على الأرض"[98]، وما اشتهر به أغناطيوس دي لايولا[99] من طاعة رسولية **وتعاطف مع الكنيسة**، وما أعلنته تريزيا أمة يسوع، من فعل إيمان بالكنيسة: "أنا ابنة الكنيسة"[100].ونفهم أيضاً ما كانت عليه تريزيا الليزياوية من رغبة مضطرمة: "أنا الحب في قلب الكنيسة أمّي!"[101]. هذه الشهادات تعبِّر عن ملء الشركة النسيَّة، لدى قديسين وقدّيسات، ومؤسسين ومؤسِّسات عاشوا في عصور وفي ظروف متنوعة وعلى جانبٍ من المشقة أحياناً كثيرة. هذه الأمثلة يجب على الأشخاص المكرَّسين أن يرجعوا إليها باستمرار ليصمدوا أمام التيارات الهدامة التي باتت على جانب خطير من السطوة.

التقيّد، عقلاً وقلباً، بتعليم الأساقفة هو ملمح حاسم من ملامح الشركة الكنسيّة، وعلى الأشخاص المكرَّسين، ولا سيما المعنيين بالبحث اللاهوتي والتعليم والنشر والتثقيف الديني ووسائل الاتصال الاجتماعي، أن يعملوا به ويعلنوه صراحة أما شعب الله[102]. ونظراً إلى أن الأشخاص المكرَّسين يشغلون مكاناً خاصاً في الكنيسة فموقفهم في هذا المجال له أهمية كبرى لشعب الله برمَّته. شهادة محبتهم النبويّة تولي قوّة ووهجاً لنشاطهم الرسولي الذي

---

[95] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، حياة الرهبان في الكنيسة ورسالتهم(12 آب 1980)، الفصل الثاني، الفقرة 24: الوثائق الكاثوليكية 78 (1981)، ص 172.

[96] يوحنا بولس الثاني، **العلمانيون المؤمنون بالمسيح** (30 كانون الأول 1988)، فقرة 31-32: أعمال الكرسي الرسولي 81 (1989)، ص 451-452.

[97] الفرائض 1، 1.

[98] الرسائل 109، 171، 196.

[99] القوانين "لأجل امتلاك حسّ أمين وصحيح في الكنيسة المجاهدة"، وقد ورد ذلك في ختام كتاب الرياضات الروحية، وخصوصاً في القانون 13.

[100] أقوال، فقرة 217: الآثار الكاملة، 3، مدريد (1959)، ص 899 (كلمات التقطتها أخواتها وهي على فراش الموت: شهادة في دعوى إعلان قداستها).

[101] مخطوطات سيرتها الذاتية، ب، 3 ظهر الصفحة.

[102] التوصية 30، أ.

يتميّز إجمالاً، في إطار الرسالة النبويّة لجميع المعمّدين، بمهمات يضطلعون بها بالتعاون الوثيق مع السلطات الإيررخية[103]. بهذه الطريقة، يؤدي الأشخاص المكرّسون، بفضل مواهبهم الغنية، مساهمتهم الخاصة في أن تحقق الكنيسة، بمزيد من العمق، طبيعتها من حيث هي "سر الاتحاد الحميم بالله ووحدة الجنس البشري برمته"[104].

الأخوة في الكنيسة الجامعة

47- الأشخاص المكرَّسون مدعوّون إلى أن يكونوا خمير شركة رسالية في الكنيسة الجامعة، وذلك نظراً إلى أن المواهب المتعدّدة عند مختلف المؤسَّسات هي عطية من الروح القدس لخير الجسد السرّي كله الذي يجب أن تساهم في بنائه (1 قور 4/12-12). ومن الأهمية بمكان أن "الطريق الأفضل" (1 قور 31/12)، وأن "اعظم الأشياء كلها" (1 قور 13/13)، على حدّ قول الرسول، هي المحبّة التي تنسّق المتعارضات وتولي الجميع قوّة الدعم المتبادل في انطلاقهم الرسولي. وهذا ما يتوخّاه **وثاق الشركة الخاص**، الذي يربط مختلف أنماط الحياة المكرَّسة وجمعيات الحية الرسولية **بخليفة بطرس في ما يضطلع به من خدمة الوحدة والشمولية الرسالية**. ويتضح جلياً من تاريخ الحياة الروحانية كيف يحقق هذا الرباط دوراً ربانياً في تحصين موهبة الحياة المكرَّسة وانتشار الانجيل على الصعيد الرسالي. وإن ما نشهده اليوم من انتشار البشري الإنجيلية وتجذّر الكنيسة تجذّراً متيناً في غير منطقة من مناطق العالم، والربيع المسيحي الذي بدأ يلوح في الكنائس الفتية، كل هذا لا يُعقل – على حدِّ ما لاحظه آباء السينودس – لولا مساهمة الكثير من مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية. لقد حافظت بقوة، عبر الأجيال، على الشركة مع خلفاء بطرس الذين آنسوا فيها همَّة سخيَّة في التطوّع الرسولي، وأهبة دفعتهم، في بعض الظروف، إلى حدّ البطولة.

هكذا يتجلَّى ما تتميّز به مؤسسات الحياة المكرّسة وجمعيات الحياة الرسولية من طابع الشمولية والشركة. ثم إنها، بسبب استقلاليتها القانونية عن الأبرشيات وعلاقتها الخاصة بالمهمّة البطرسية، بإمكانها أن تتطوّع لإقامة التعاون بين مختلف الكنائس المحليَّة[105] حيث يمكنهم، بطريقة فعّالة، تعزيز "تبادل المواهب" والمساهمة في بث الإنجيل في ثروات جميع الشعوب وثقافاتها، فيطهّرها ويعززها ويحتضنها[106] إن ما نلمسه اليوم، في الكنائس الفتية، من ازدهار الدعوات للحياة المكرَّسة، يعبّر عما تترقبه الشعوب والثقافات على أنواعها، في إطار الوحدة الكاثوليكية.

---

[103] يوحنا بولس الثاني، **موهبة الفداء** (25 آذار 1984)، الفقرة 15: أعمال الكرسي الرسولي 76 (1984)، ص 541-542.

[104] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 1.

[105] مجمع العقيدة والإيمان، رسالة إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية في بعض ملامح الكنيسة بوصفها شركة، مفهوم الشركة (28 أيار 1992) فقرة 16: أعمال الكرسي الرسولي 85 (1993)، 847-848.

[106] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 13.

الحياة المكرَّسة والكنيسة الخاصة

48- للأشخاص المكرَّسين، ضمن الكنائس الخاصة، دور بالغ الأهمية. فمن منطلق العقيدة المجمعية في الكنيسة، من حيث هي شركة وسرّ، وفي الكنائس الخاصة من حيث هي أقسام من شعب الله "تكون حاضرة فيها حقاً وعاملة كنيسةُ المسيح الواحدة المقدّسة الجامعة الرسولية" [107]، قد تمَّ التعمُّق في هذه الحقيقة وأدرجت في وثائق متعدّدة. هذه النصوص توضح جلياً الأهمية الأساسيّة الناجمة عن تعاون الأشخاص المكرَّسين مع الأساقفة لإنماء الشأن الراعوي الابرشي إنماءً متناغماً. بإمكان المواهب المتصلة بالحياة المكرَّسة أن تساهم بقوّة في بناء المحبّة في الكنيسة الخاصة.

الأنماط المتنوّعة في ممارسة المشورات الإنجيلية هي انعكاس وثمرة المواهب الروحية التي حظي بها المؤسِّسون والمؤسِّسات وهي، من هذا الملحظ، بمثابة "خبرة الروح" انتقلت إلى أتباعهم ليعيشوا ويسهروا عليها ويغمقوها وينموها، بلا ملل، بالتناغم مع جسد المسيح المتنامي أبداً[108]. طبيعة كلّ مؤسسة تحمل "سمة" خاصة من سمات القداسة والرسالة تنزع إلى الاستقرار في تقليد معيّن تميّزه عناصر موضوعية[109]. من هنا اهتمام الكنيسة بنمو المؤسسات وتطورها، في الأمانة لروح المؤسِّسين والمؤسِّسات ولتقاليدهم السليمة[110].

وبالتالي ، فكل مؤسسة تنعم **باستقلالية صحيحة**، تُمكّنها من المحافظة على نظامها وصيانة ميراثها الروحي والرسولي. ومن واجب الأساقفة المحليين وقاية هذه الاستقلالية وحمايتها[111]. ويُطلب إذن من الأساقفة أن يتقبلوا ويقدّروا مواهب الحياة المكرَّسة، ويفسحوا لها مجالاً في المشاريع الراعوية في الأبرشية. وعليهم أن يخصّوا برعايتهم المؤسسات التابعة للأبرشية، والموكولة إلى محبَّة الأسقف المحلي وحدبه الخاص. كل أبرشية بلا حياة مكرَّسة يفوتها الكثير من العطايا الروحيّة والأمكنة الموقوفة للبحث عن الله والأعمال الرسولية والأساليب الرعوية المميّزة. ثم إنها تتعرّض لأن تضعف ضعفاً ذريعاً، بسبب فوات الروح الرسالي الذي يتميّز به معظم المؤسسات[112]. من المستحسن إذن أن نرحب بموهبة الحياة المكرَّسة التي يبعثها الروح في الكنيسة الخاصة ونتلقاها بسخاء وشكر.

---

[107] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، مهمة الأساقفة الراعوية في الكنيسة "المسيح الرب"، فقرة 11.

[108] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية ومجمع الأساقفة، العلاقات المتبادلة (14 أيار 1978)، فقرة 11: أعمال الكرسي الرسولي 70 (1978)، ص 480.

[109] المرجع نفسه.

[110] الحق القانوني الغربي، قانون 576.

[111] الحق القانوني الغربي، قانون 586؛ مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية ومجمع الأساقفة، العلاقات المتبادلة (14 أيار 1978)، فقرة 13: أعمال الكرسي الرسولي 70 (1978)، ص 481-482.

[112] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، إلى الأمم، فقرة 18.

شركة كنسيَّة خصبة ومنظمة

49- الأسقف هو للكنيسة الخاصة كلها أبوها وراعيها، وله أن يقرّ مختلف المواهب ويحترمها ويعزّزها وينسّق بينها. وعليه إذن أن يقبل، في محبته الراعوية، موهبة الحياة المكرَّسة قبوله لنعمة لا تتعلق بالمؤسسة وحسب، بل تفيد الكنيسة كلها. وعليه أن يسعى إلى دعم الأشخاص المكرَّسين ومساعدتهم، فيطلّوا، بالشركة مع الكنيسة، على آفاق روحيّة ورعائية تلبي مقتضيات عصرنا، مع التمسك بفكرة المؤسس. وعلى الأشخاص المكرَّسين، من جهتهم، أن يسخوا في التعاون مع الكنيسة الخاصة وفقاً لقدراتهم، وفي مراعاة موهبتهم، **والعمل بملء الشركة مع الأسقف**، في مجالات البشارة والتعليم الديني وحياة الرعايا.

ومن المفيد التذكر أن المؤسسات لا يمكن أن تتذرع، في التنسيق ما بين خدمة الكنيسة الجامعة وخدمة الكنيسة الخاصة، باستقلاليتها المحِقَّة وحتى بالعصمة التي تتمتع بها[113] مؤسسات كثيرة، لكي تبرِّر خيارات قد تنافي، في الحقيقة، مقتضيات الشركة العضويَّة التي لا بدّ منها لحياة كنسيّة سليمة. بل يجب، بالعكس، أن تُقرَّر المبادرات الرعوية الصادرة عن الأشخاص المكرَّسين، وتوضع موضع التنفيذ في حوار ودي ومنفتح بين الأساقفة ورؤساء الرهبانيات. إن ما يبديه الأساقفة من اهتمام لدعوة المؤسسات الرهبانية ورسالتها وما تبديه هذه المؤسسات من احترام لمهمّة الأساقفة الراعوية والعمل الحثيث بتوجيهاتهم الراعوية المتصلة بحياة الأبرشية، يمثّلان وجهين متلازمين تلازماً وثيقاً من تلك المحبّة الكنسيّة الواحدة التي تدفع كلًّا من الطرفين في خدمة الشركة العضويّة – المؤلفة مواهبياً وتراتبياً – القائمة ما بين أبناء شعب الله برُمّته.

حوار دائم تُنعشُه المحبّة

50 - في سبيل تعزيز التعارف – وهو من مستلزمات كلِّ تعاون فعال، وبخاصة في المجال الرعائي – من المناسب جداً أن يظلَّ رؤساء ورئيسات مؤسَّسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية **في حوار دائم** مع الأساقفة. بفضل هذه الاتصالات العاديّة، يصبح بإمكان الرؤساء والرئيسات أن يُطلعوا الأساقفة على المبادرات الرسولية التي ينوون اتخاذها في أبرشياتهم للبلوغ وإياهم الى الاتفاقات اللازمة لتنفيذها. ومن المناسب أيضاً، في هذا المجال، أن يُتاح لأشخاص مكلفين من قبل مجالس الرؤساء والرئيسات الأعلين حضورَ اجتماعات المجالس الأسقفية، وأن يدعى، بالمقابل، موفدون من قبل المجالس الأسقفية، لحضور مجالس الرؤساء والرئيسات الأعلين، طبقاً لقواعد محدّدة. من هذا الملحظ، بالإمكان أن تُجنى فائدة كبرى من **إنشاء لجانٍ مختلطة** على الصعيد الوطني مؤلفة من أساقفة ورؤساء

[113] الحق القانوني الغربي، قانون 586، بند 2؛ 591؛ مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، قانون 412، بند 2.

ورئيسات أعلين[114] – حيث لا توجد بعد – يدرسون معاً المسائل المشتركة بينهم. إدخال ما يتعلق بالحياة المكرَّسة من لاهوت وروحانية في برنامج الدروس اللاهوتية للكهنة الأبرشيين، وكذلك فسح المجال، في تنشئة الأشخاص المكرَّسين، لمعالجة ما يكفي من لاهوت الكنيسة الخاصة وروحانية الإكليروس العلماني، كل هذا من شأنه أن يساهم أيضاً في مزيد من التعارف[115].

من المشجّع، أخيراً، أن نذكّر بكثرة المداخلات، في السينودس، حول عقيدة الشركة وبما بدا من ارتياحٍ لخبرة حوارٍ تمَّ في جوّ من الثقة والانفتاح المتبادلين بين الأساقفة والرهبان والراهبات الحاضرين. وقد أدَّى ذلك إلى الرغبة في "أن تعمَّ هذه الخبرة الروحية المستقاة من روح الشركة والتعاون، جميع أرجاء الكنيسة"، حتى من بعد السينودس[116]. وإني أتبنَّى هذه الأمنية، آملاً أن ينمو لدى الجميع معنى الشركة موقفاً وروحانية.

الأخوة في عالم انقسام وظلم

51- إن الكنيسة تكل إلى جماعات الحياة المكرّسة ما يقع عليها من واجب خاص في **إنماء روحانية الشركة**، في داخلها أولاً، ثم في الأسرة الكنسية، وخارج حدودها، وذلك بمواصلة حوار المحبّة بلا مَلل، وبخاصة في عالمنا المعاصر الذي تمزّقه الكراهية العنصرية والجنون القتّال. جماعات الحياة المكرَّسة التي تعيش في تضاعيف مجتمعات هذا العالم، والتي يتلاقى فيها إخوة وأخوات متفاوتون في السن ومختلفون في اللغات والثقافات، إنما هي **شهود حوارٍ** دائم وشركة قادرة على وضع التناغم بين كل الفوارق، وذلك وسط مجتمعات تخضها، في أكثر الأحوال، أهواء ومصالح متضاربة تصبو، ولا شك، إلى الوحدة، ولكنها محتارة في الدروب التي يجب اتخاذها.

جماعات الحياة المكرّسة رسالتها المناداة، من خلال شهادة سيرتها، بقيمة الأخوّة المسيحية وقدرة البشرى الحسنة[117] على تجديد الإنسان واعتباره ابناً لله وإذكاء المحبَّة القربانية تجاه الجميع ولا سيّما الأصاغر.

هذه الجماعات هي مساحات رجاء وسعي لاكتشاف معنى التطويبات، حيث المحبَّة المرتكزة على الصلاة – وهي مصدر كل شركة روحية – مدعوّة إلى أن تصير نهج حياة وينبوع فرح.

---

[114] التوصية 29، 4.

[115] التوصية 49 ب.

[116] التوصية 54.

[117] مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية في الجماعة "حب المسيح جَمَعنا" (2 شباط 1994)، فقرة 56: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 427.

في هذا الزمان الذي اكتسبت فيه المشاكل طابعاً عالمياً، وعادت إليه أصنام القومية، تتحمَّل المؤسسات الرهبانية الدولية مسؤولية خاصة في الحفاظ على معنى المشاركة بين الشعوب والأعراق والثقافات والشهادة له. في هذا المناخ من الأخوّة لن يفلح الاهتمام بالمعضلات العالمية في خنق ثرواتها الخاصة، ولن يفلح التركيز على الخصوصيات في جعلها في حالة صراع مع الآخرين أو مع الوحدة. بإمكان المؤسسات الرهبانية الدولية أن تحقق هذا الهدف بنجاح، وذلك بسبب ما يتحتم عليها من مواجهة تحديات التكيّف الثقافي عن طريق الخلق والإبداع والمحافظة، في الوقت نفسه، على هويتها.

الشركة بين مختلف المؤسسات الرهبانية

52- الروابط الروحيّة الأخوية والتعاون ما بين مؤسسات الحياة المكرّسة ومختلف جمعيات الحياة الرسوليّة، تتغذّى من روح الشركة الكنسيَّة. الأشخاص المرتبطون بالتزام مشترك في اتباع المسيح، والناهلون من معين الروح الواحد، لا يسعهم إلّا أن يُظهروا للعيان كمال إنجيل المحبة، كأغصان في الكرمة. هؤلاء الأشخاص، إذ يتذكرون الصداقة الروحية التي انعقدت على الأرض بين مختلف المؤسسين والمؤسسات مع احتفاظ كل منهم بطبيعة مؤسسته، يوجسون الدعوة إلى أن يمارسوا أخوَّة نموذجية تستحث العناصر الأخرى في الكنيسة للشهادة للإنجيل شهادة يومية.

أقوال القديس برنردُس في المؤسسات الرهبانية لا تزال واقعية حتى اليوم: "إني معجب بها كلها [...] أنتمي إلى إحداها بالطاعة، وإليهم جميعاً بالمحبة. إننا كلنا بحاجة بعضنا إلى بعض. فالخير الروحي الذي لا املكه و أحوزه، أناله من الآخرين [...]. في هذا المنفى الذي لا تزال فيه الكنيسة في طريقها نحو هدفها، نرى فيها الوحدة متعدّدة، نوعاً ما، والتعدّدية واحدة (...) وكل تنوعاتنا التي تعكس غنى مواهب الله سوف تبقى خالدة في بيت الآب الواحد حيث المنازل كثيرة. في هذا الزمن تتوَّزع النعم، وفي الدهر الآتي تتنوَّع الأمجاد. والوحدة، هنا وهناك، قوامها المحبَّة الواحدة"[118].

أجهزة تنسيق

53- مجالس الرؤساء والرئيسات الأعلين ومجالس المؤسسات العلمانية بوسعها أن تساهم مساهمة ملحوظة في بناء الشركة. هذه الأجهزة التي شَجَّعها ونَظَّمها المجمع الفاتيكاني الثاني[119] وعدد من الوثائق اللاحقة[120] تتوخَّى، في طليعة ما تتوخاه، تعزيز الحياة المكرَّسة مدغومة في مجموع الرسالة الكنسيَّة.

---

[118] دفاع لغليوم دي سان تيرّي، 4، 8: الآباء اللاتين 182، 803-804.

[119] المحبة الكاملة، فقرة 23.

بواسطة هذه الأجهزة تستطيع المؤسسات الرهبانية أن تعبّر عن شركتها، وتسعى إلى تدعيمها، مع احترام وإبراز خصائص مختلف المواهب التي ينعكس فيها سرّ الكنيسة وحكمة الله المتعدّدة الوجوه والأشكال[121]. إني أشجع مؤسسات الحياة المكرَّسة على التعاون في ما بينها، ولا سيما في البلاد التي تعاني مصاعب خاصة قد تسوّل لها تسويلاً شديداً أن تنطوي على ذاتها فيعود ذلك بالخسارة على الحياة المكرَّسة نفسها وعلى الكنيسة. يجب عليها، بالعكس، أن تتعاون في السعي إلى استيعاب قصد الله في ما يتخلَّل التاريخ من تقلبات راهنة[122]. في هذه الرؤية المستوحاة من روح المشاركة والانفتاح على تحديات عصرنا، يجب على الرؤساء والرئيسات، "أن يعملوا، بالتنسيق مع الجسم الأسقفي"، على الإفادة من خدمات أفضل المعاونين في كل مؤسسة، واقتراح أنماط من المساهمة لا تساعد فقط في تخطي بعض الشوائب الممكنة، بل تخلق نَسَقاً مفيداً في التنشئة للحياة المكرَّسة"[123].

وأدعو مجالس الرؤساء والرئيسات الأعلين إلى عقد اتصالات متواترة ومطردة مع مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، لتتجلّى بذلك شركتها مع الكرسي الرسولي. ولا بدَّ أيضاً من إقامة علاقات ناشطة وواثقة بالمجالس الأسقفية في كل بلد. ومن المناسب أن تتخّذ هذه العلاقات، بحسب روح وثيقة "**العلاقات المتبادلة**"، صيغةً ثابتة تتيح القيام بتنسيق دائم وملائم، عبر المادرات المتتالية. إذا تم هذا كله بمثابرة وروح الأمانة والطاعة لتوجيهات السلطة، فلا شك أن أجهزة التنسيق والشركة سوف توفَّق في العثور على حلول تتحاشى المناكفات والمشادَّات سواء على الصعيد النظري أم على الصعيد العلمي[124]. وسوف تساهم، إذ ذلك، في تنمية الشركة بين مؤسسات الحياة المكرَّسة والأساقفة، وفي تحقيق الرسالة الموكولة إلى الكنائس الخاصة.

الشركة والتعاون مع العلمانيين

54- في هذه السنين الأخيرة أصبحنا نفهم، بمزيد ممن الوضوح، بفضل ما يُعلِّمه اللاهوت في شأن الكنيسة – الشركة، أن العناصر المختلفة التي تكوّنها بوسعها بل عليها أن توحِّد قواها في روح من التعاون وتبادل المواهب لتتمكن

---

[120] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية ومجمع الأساقفة، العلاقات المتبادلة (14 أيار 1978) فقرة 21؛ 61: أعمال الكرسي الرسولي 70 (1978)، ص 486؛ 503-504؛ الحق القانوني الغربي، قانون 708-709.

[121] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 1؛ **نور الأمم**، فقرة 46.

[122] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، فرح ورجاء، الفقرة 4.

[123] يوحنا بولس الثاني، نداء إلى الجمعيَّة العمومية الرابعة عشرة لمجلس رهبان البرازيل (11 تموز 1986)، فقرة 4: الوثائق الكاثوليكية 83 (1986)، ص 893؛ التوصية 31.

[124] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية ومجمع الأساقفة، العلاقات المتبادلة (14 أيار 1978). فقرة 63؛ 6: أعمال الكرسي الرسولي 70 (1978)، ص 504- 505.

من المساهمة بصورة أفعل في الرسالة الكنسيَّة. وفي هذا ما يساعد في إبداء صورة عن الكنيسة أصح وأكمل، وفي تحصين الردّ خصوصاً على تحديات عصرنا الكبرى، بفضل تناسق المواهب على أنواعها.

في ما يتعلق بالمؤسسات التوحّدية والتأملية، تقوم العلاقات مع العلمانيين جوهرياً على الصعيد الروحي. وأما في شأن المؤسسات المتطوّعة لعمل الرسالة، فالعلاقات مع العلمانيين تترجم أيضاً في مجالات التعاون الرعائي. أعضاء المؤسسات العلمانية، العلمانيون والإكليريكيون، يعقدون مع المؤمنين الآخرين علاقات على صعيد الحياة اليوميَّة وفي أشكالها العادية. وإننا نجد اليوم مؤسسات كثيرة توصلت إلى الاقتناع، بدافع ظروف جديدة، **من أن موهبتهم بوسعهم أن يتقاسموها مع العلمانيين**؛ وعلى هؤلاء إذن أن يشاركوا، بطريقة أقوى، في روحانية المؤسسة ورسالتها. ويسوغ القول، في خط الاختبارات التي تقوم بها المؤسسات العلمانية ورهبنات الرتبة الثالثة، إن هناك باباً جديداً، حافلاً بالرجاء، قد انفتح في تاريخ العلاقات بين الأشخاص المكرَّسين والعلمانيين.

لأجل دينامية روحية ورسولية متجدّدة

55- هذه الاختبارات الجديدة، في نطاق المشاركة والتعاون، تستحق التشجيع لأسباب متنوعة. فبالإمكان أن ينجم عنها أولاً وهج روحانية تدفع إلى العمل خارج حدود المؤسسة، فيصبح بإمكان هذه أن تعتمد على طاقات جديدة تكفل للكنيسة استمرار بعض من نشاطاتها المميّزة. ثمة نتيجة إيجابية أخرى قد تسهّل أيضاً، بين أشخاص مكرَّسين وعلمانيين، توافقاً عميقاً قد يعود بالفائدة على الرسالة: فإذا ما استوحى العلمانيون من الأشخاص المكرّسين نماذج قداسة، أضحى بالإمكان أن يُدخَلوا مباشرة في خبرة روح المشورات الإنجيلية، ويُشَجَّعوا على أن يحيوا بروح التطويبات ويشهدوا لها لتجديد العالم بحسب قلب الله[125].

مساهمة العلمانيين تؤدّي مراراً إلى التعمق في بعض وجوه الحالة الرهبانية تعمقاً مثمراً ومفاجئاً، يُكسبها مزيداً من العمق الروحي في التعبير عنها، ويدفعها إلى استخلاص افكار تساعد في خلق ديناميات رسولية جديدة. لا بد إذن للأشخاص المكرَّسين من أن يتذكروا، في جميع مجالات عملهم وخدمتهم، أن عليهم أن يكونوا، قبل أي شيء آخر، هداة أكفاء في دروب الحياة الروحانية، وأن يثمِّروا أثمن ما لديهم من مواهب: أي الروح[126]. وعلى العلمانيين أن يقدّموا، هم أيضاً، للأُسَر الرهبانية، مساهمة نفسية نابعة من طابعهم العلماني وخدمتهم المميّزة.

علمانيون متطوعون وشركاء

---

[125] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 31.

[126] القديس انطونيو م. زكريّا، كتابات، العظة 2، روما (1975)، ص 129.

56- ثمة تعبير بليغ لمشاركة العلمانيين في ثروات الحياة المكرَّسة، وهو انتساب بعض المؤمنين العلمانيين إلى مختلف المؤسسات الرهبانية في شكل جديد، ويُعرفون "بالأعضاء المشاركين". وقد يتم ذلك أيضاً، وفقاً للحاجات الراهنة في بعض القرائن الثقافية، في شكل مشاركة وقتية في حياة الجماعة وفي الطريقة الخاصة التي تنتهجها المؤسسة الرهبانية في حياة التأمل أو في حياة الرسالة، ولكن بشرط ألا تتأذى من ذلك طبيعة المؤسسة ونمط حياتها الداخلية[127].

من الحق أن ننظر بكثير من التقدير إلى هذا النمط من التطوع الذي يستلهم ثروات الحياة المكرَّسة. ولكن لا بدّ من السهر على تنشئة المتطوّعين، لكي يضموا دائماً إلى الكفاءة دوافع روحية عميقة في نواياهم، وحسّاً جماعياً وكنسيّاً رهيفاً في مقاصدهم[128]. ولا بدَّ من التذكر أيضاً أن المبادرات التي يضطلع بها العلمانيون، على أي مستوىً من مستويات القرار، يجب أن تستمر فيخط أهداف المؤسسة الرهبانية وتتمَّ تحت إشرافها ومسؤوليتها، لتظلَّ محسوبة في عداد المنجزات التي تضطلع بها المؤسسة. فإذا تكفَّل العلمانيون بإداتها، فعليهم أن يؤدوا حساباً عن مسؤوليتهم للرؤساء والرئيسات المعنيين بذلك. ومن المفيد أن يوضَّح كل هذا ويُنَظَّم طبقاً لتوجيهات كل مؤسسة، وبموافقة السلطة العليا، على أن تُحدّد صلاحيات كلٍّ من المؤسسة نفسها والجماعة والأعضاء المشاركين أو المتطوّعين.

بإمكان الأشخاص المكرَّسين المبعوثين من قبل رؤسائهم ورئيساتهم مع بقائهم تحت سلطتهم، **أن يشاركوا، وفقاً لأنماط ملائمة، في مبادرات علمانية**، وبخاصة في منظمات ومؤسَّسات معنيّة بالمهمّشين، تتوخى التخفيف من برجاء الناس. هذا التعاون، إذا كان محفوزاً ومدعوماً بطابع هوية مسيحيَّة واضحة وقوية، وإذا احترم ميزات الحياة المكرَّسة، بإمكانه أن يشع قوة الإنجيل ونوره في أحلك ظروف الحياة البشرية.

على مدى هذه السنين الأخيرة، دخل جمهور من الأشخاص المكرَّسين في هذه أو تلك من **الحركات الكنسيّة** المتنامية حالياً. هؤلاء الأشخاص يستفيدون إجمالاً من هذه الاختبارات التي تساعدهم خصوصاً في تجدّدهم الروحي. ولكن لا نستطيع أن ننكر ما قد يكمن أحياناً في ذلك من خطر الإزعاج والتشويش على الصعيد الفردي كما على الصعيد الجماعي، وخصوصاً إذا تضاربت هذه الاختبارات مع مقتضيات الحياة الجماعية وروحانية المؤسسة. لا بدّ إذن من السهر على أن يتم الانتساب إلى الحركات الكنسيّة في احترام موهبة المؤسسة الرهبانية ونظامها[129]، وبموافقة الرؤساء والرئيسات، والأهبة لتقبل قراراتهم تقبلاً كاملاً.

---

[127] التوصية 33، أ و ج.

[128] التوصية 33، ب.

[129] مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية ضمن الجماعة: "حب المسيح جمعنا واحداً" (2 شباط 1994)، فقرة 62: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 429-430؛ Instruction Potissimum institutioni (2 شباط 1990)، فقرة 92-93: أعمال الكرسي الرسولي 82 (1990)، ص 123-124.

كرامة المرأة المكرَّسة ودورها

57- ثروة الكنيسة الروحية تتحلّى في كل أشكالها، عندما تتخطّى التفرقات وتتقبل كبركة حقيقية المواهب التي يفيضها الله على الرجال وعلى النساء معاً، وتُثمِرها في الكرامة والمساواة. النساء المكرَّسات مدعوَّات، بطريقة مميّزة جداً، إلى أن يكنَّ، بتقدمة ذواتهن كاملةً ومتهلِّلة، **علامة حنان الله على الجنس البشري**، وشهادة خاصة لسرّ الكنيسة العذراء والزوجة والأم[130]. لم يقصّر السينودس في التنويه برسالتهن، كنَّ كثيرات اللواتي اشتركن فيه وأسمعن صوتهن الذي لقي عند الجميع إصغاءً واستحساناً. وبفضل مساهماتهنّ برزت إيضاحات تعود بالفائدة على حياة الكنيسة ورسالتها التبشيرية. ليس بالإمكان، ولا شك، أن ننكر صحة الكثير من المطالبات في شأن مكانة المرأة في الأوساط الاجتماعية والكنسيّة. ومن المناسب أيضاً أن نلاحظ أن ما أخذ ينمو في المرأة من وعي جديد لذاتها، يساعد الرجل أيضاً في إعادة النظر في تصوّراته الذهنية، وفي طريقة فهمه لذاته، وفي موقعه في التاريخ وطريقة تفسيره، وفي تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والكنسية.

إن الكنيسة التي تلقَّت من المسيح رسالة تحرير، تأخذ على عاتقها، نبوياً، أن تبث هذه الرسالة وتضجع من الأحوال الذهنية والمواقف العملية ما يلائم مقاصد الرب. في هذا السياق تستطيع المرأة المكرَّسة، انطلاقاً من خبرتها للكنيسة ومن حياتها كمرأة في الكنيسة، أن تساهم في إلغاء بعض التصوّرات المنحازة التي تعوق ملء الاعتراف بكرامتها ورفدها المميّز للحياة وللعمل الرعائي والرسالي في الكنيسة. من المشروع إذن، والحالة هذه، أن تطالب المرأة المكرَّسة بأن يُعتَرف، بطريقة أفصح، بهويتها وأهليتها ورسالتها ومسؤوليتها، سواء في الضمير الكنسي أم في الحياة اليومية.

إن مستقبل البشارة الجديدة، بل كل أشكال العمل الرسالي، يتعذَّر فهمه بمعزلٍ عن المساهمة المتحددة التي تؤديها المرأة وبخاصة المرأة المكرَّسة.

توجهات جديدة في الحضور والعمل

58- من الملحّ إذن ان نخطو بضع خطوات عمليّة، فنفتح للمرأة **مجالات مشاركة** في غير واحد من القطاعات وعلى كل المستويات، بما في ذلك المشاركة في صياغة القرارات، ولا سيَّما في ما له علاقة بها.

ومن الضروري أيضاً أن تُكيَّف تنشئة النساء المكرَّسات، كما هي الحال في تنشئة الرجال، وفقاً للمقتضيات الجديدة، وتلحَظَ ما يكفي من الوقت والإطار البنيوي، لتربية نظيمة تتناول كل المجاملات، من الدروس اللاهوتية

[130] التوصية 9، أ.

والرعائية، حتى النطاق المهني. التنشئة الرعائية والكرازية تبقى على جانب من الأهمية، ولكنها تفيد خصوصاً في البشارة الجديدة التي تطالب النساء أيضاً بأنماط حديثة في المشاركة.

بوسعنا أن نعتبر أن كل تنشئة تساعد المرأة المكرَّسة في فهم مواهبها الخاصة فهماً أجود، لا تخلو من أن تنشِّط، داخل الكنيسة، ما لا بدَّ منه من روح التبادل. ففي نطاق الفكر اللاهوتي والثقافي والروحي، نتوقع الكثير من عبقرية المرأة، لا في ما يميّز الحياة المكرَّسة الأنثوية وحسب، بل في فهم الإيمان في مل تعابيره. في هذا الصدد، كم هو مدين تاريخ الروحانية لقديسات مثل تريزيا أمة يسوع وكاترينا السيناوية – وهما أوَّل من اكرمتهما الكنيسة بلقب ملفان الكنيسة – ولجمهور كبير من الصوفيات الأخريات لما قمن به من تعمّق في سرّ الله وإظهار عمله في المؤمنين. إن الكنيسة تعتمد كثيراً على ما يمكن أن تقوم به النساء المكرَّسات من مساهمة فريدة تعزّز العقيدة والأخلاق الحميدة والحياة العيلية والاجتماعية، وبخاصة كل ما يتعلّق بكرامة المرأة واحترام الحياة البشرية[131]. ولا بدع، "**فالنساء** يقمن بدور فريد وحاسم: فإنه يعود لهنَّ أن يعزّزن "المطالبة بحقوق المرأة" بأسلوب جديد، ولكم من غير أن ينقَّدنَ لإغراء التشبه بالنماذج الرجليّة، فيعترفن بالعبقرية الأنثوية الحقة، ويعبّرن عنها في كل مظاهر الحياة المجتمعية، ويسعين إلى تخطي كل شكل من أشكال التفرقة والعنف والاستغلال"[132].

ثمة أسباب تدفعنا إلى الأمل بأن الحياة المكرَّسة الأنثوية، استناداً إلى مزرد من الاعتراف برسالة المرأة، سوف تزداد حدّةُ وعيها لدورها الخاص، فتتطوّع لخدمة ملكوت الله، بوجه أمثل. وقد ينعكس ذلك على إنجازات كثيرة كالتطوع لعمل البشارة والنشاط التربوي والمشاركة في تنشئة كهنة الغد والأشخاص المكرَّسين وإنعاش الجماعة المسيحية والمرافقة الروحية وتعزيز الحياة والسلام في مرتكزاتهما الأساسية. إني أعبِّر مرة أخرى للنساء المكرَّسات عما تكنُّه الكنيسة كلها من إعجاب وامتنان، وهي توفِّر لهن من الدعم ما يمكّنهنَّ من أن يعشن دعوتهنَّ في الكمال والفرح، ويشعرن بأنهنَّ منتدبات، بحكم مسؤولية سامية، إلى المساعدة في تنشئة امرأة اليوم.

2– مواصلة عمل الروح: الأمانة مع الحداثة

الراهبات المحصّنات

59– الحياة التوحّديّة للنساء وحصن المتوحدّات جديران بانتباه خاص، وذلك بأن الجماعة المسيحيّة تقدِّر تقديراً عالياً هذا النمط من الحياة، **علامة الاتحاد المطلق بين الكنيسة – العروس وربّها**. والواقع أن حياة المتوحّدات

---

[131] التوصية 9.

[132] يوحنا بولس الثاني، **إنجيل الحياة** (25 آذار 1995)، فقرة 99: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 514.

المحصّنات اللواتي ينقطعن جوهرياً للصلاة والجهاد والتقدّم الحثيث في الحياة الروحية، "ليست إلّا طريقاً إلى اورشليم السماوية واستباقاً للكنيسة الاسكاتولوجية في معيّة الله وتأمله"[133]. في ضوء هذه الدعوة وهذه الرسالة الكنسيّتين، يُلبي الحصنُ ضرورة **المكوث مع الربّ**، وهو مقتضىً من المقتضيات الأولوية. تُؤثر المحصَّنات حيّزاً صغيراً مسكناً لهن، ويشاركن المسيح ملاشاته، فيمارسن فقراً جذرياً يعبّرن عنه لا بالتجرّد عن الماديات وحسب، بل عن "الفسحة المكانية" أيضاً والعلاقات والكثير من خيور الدنيا الأخرى. هذه الطريقة المميّزة في تقدمة "الجسد" تُدخلهنّ بشكل محسوس في السرّ الإفخارستي. الراهبات المحصَّنات يقرّبن ذواتِهن مع يسوع لخلاص العالم. وتكتسب تقدمتهن أيضاً، علاوة على طابعها القرباني والكفّاري، معنى الشكر لله، مشاركة مع ابن الله الحبيب في فعل شكره.

الحصن المتجذّر في مثل هذه الديناميَّة الروحية ليس وسيلة زهديَّة نادرة المقام وحسب، بل هو أيضاً طريقة في عيش فصح المسيح[134]. إنه انتقال من خبرة "موت" الى فيض حياة، ويظهر بمثابة بشرى سعيدة واستباق نبوي لما يستطيع كل فرد بل البشر بأسرهم، من أن يحيوا لله فقط، في يسوع المسيح (روم 11/6). الحصن يوحي إذن بتلك الخلية من القلب، حيث يدعى كل إنسان إلى أن يعيش اتحاده بالرب. فإذا تقبّلنا الحصن عطيّة واصطفيناه جواب حب طليق، فهو موضع شركة روحية مع الله ومع الإخوة والأخوات حيث ضيق الرقعة ونَدرة العلاقات يعزّزان عودة القيم الإنجيلية إلى الداخل (يو 34/13؛ متى 3/5، 8).

إن الجماعات المحصّنة القائمة كمدينة على الجبل وكسراج على المنارة (متى 14/5-15) وحتى في بساطة حياتها، تلهم، **بطريقة مرئية، الهدف الذي يسمو إليه مجموع الجماعة الكنسية**، هذه الجماعة التي تسير في دروب هذا الزمن "حارَّة في العمل ومسترسلة إلى التأمل"[135]، شاخصة بأنظارها إلى ما سوف يتم في الجهر الآتي من تجدّد الأشياء كلها في المسيح، "يوم ستظهر الكنيسة مع عريسها في المجد"[136] (قول 1/3-4) ويوم يُسَلِّم المسيحُ الملكَ إلى الله الآب، بعد أن يُبيد كل رئاسة وسلطان وقوَّة [...] فيكون الله الآب كلَّ شيء في كل شيء" (1 قور 24028/15).

يتوجّه شكري إذن إلى هؤلاء الأخوات العزيزات جداً وأشجعهنَّ على أن يبقين أمينات للحياة المحصّنة وفقاً لمواهبهنَّ الخاصة. إن هذا النمط من الحياة لا يزال حتى اليوم، بفضل أمثالهنّ، يجذب دعوات كثيرة، بدافع من مطلقية

---

[133] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، في الحياة التأملية وحصن المتوحّدات، "هلم لنصعَد" (15 آب 1969)، 5: أعمال الكرسي الرسولي (1969)، ص 985.

[134] المرجع نفسه، 1: أعمال الكرسي الرسولي 61 (1969)، ص 674.

[135] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الليترجيا المقدَّسة، فقرة 2.

[136] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 6.

الحياة "العرسية" المكرَّسة كلياً لله في التأمل. إن الحياة التأملية، كعبارة حب خالصٍ أرقى من كل عمل، تملك فعالية رسولية ورسالية خارقة[137].

لقد عبَّر الآباء السينودسيون عن عظيم تقديرهم لقيمة الحصن، مع اعتبارهم للفرائض المقدَّمة هنا وهناك في شأن النظم العملية. توجيهات السينودس في هذا الشأن، والتمني خصوصاً أن تعطى الرئيسات الأعلين صلاحية أوسع في شأن الخروج على قانون الحصن، لأسباب خطيرة وصوابية[138]، كل هذا سوف يكون موضع بحث منهجي، في اتجاه التحديث الذي تحقق منذ المجمع الفاتيكاني الثاني[139]. في هذا الصدد، سوف ينطبق نظام الحصن انطباقاً احكم في مختلف اشكاله ودرجاته – من الحصن البابوي والفرائضي إلى الحصن التوحّدي – على مختلف أشكال المؤسسات التأملية والتقاليد التوحّدية.

من المناسب أيضاً، كما نوّه بذلك السينودس نفسه، أن تعزَّز التجمعات والاتحادات بين الأديرة، وقد حبَّذها البابا بيوس الثاني عشر والمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني[140]، وخصوصاً حيث لا وجود لأشكال فعّالة أخرى من التنسيق والتعاون، وذلك لحماية وتعزيز قيم الحياة التأملية. بوسع هذه التنظيمات، مع الحرص دائماً على ما تتمتع به هذه الأديرة من استقلالية شرعية، أن تقدم دعماً حقيقياً لحل المشاكل المشتركة حلاً لائقاً، كالتحديث المناسب، والتنشئة الأولى والدائمة، والدعم الاقتصادي المتبادل، وبالإضافة إلى ذلك إعادة تنظيم الأديرة ذاتها.

الرهبان الإخوة

60- الحياة المكرَّسة من طبيعتها، وحسب التعليم التقليدي في الكنيسة، **ليست علمانية ولا إكليريكية**[141]، ومن ثم "فالتكرّس العلماني" للرجال والنساء، يكوِّن في حد ذاته حالة كاملة في اعتناق المشورات الإنجيلية[142]، ويملك بالتالي بالنسبة إلى الفرد كما بالنسبة إلى الكنيسة، قيمة "مميّزة، مستقلة عن الخدمة الكهنوتية المقدّسة.

---

[137] القديس يوحنا الصليبي، **النشيد الروحي**، فقرة 29، 1.

[138] الحق القانوني الغربي، قانون 667، فقرة 4؛ التوصية 22، 4.

[139] بولس السادس، ارادة رسولية: الكنيسة المقدَّسة (8 حزيران 1966)، 2، فقرة 30-31: أعمال الكرسي الرسولي 58 (1966)، ص 780؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 7، 16؛ مجمع الرهبان... والمؤسسات العلمانية، توجيه في الحياة التأملية وحصن المتوحّدات، "هلم لنَصعد"... (15 آب 1969) 6: أعمال الكرسي الرسولي 61 (1969)، ص 686.

[140] بيوس الثاني عشر، عروس المسيح (21 ت2 (1950) 7: أعمال الكرسي الرسولي 43 (1951)، ص 18-19؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 22.

[141] الحق القانوني الغربي، قانون 588، بند 1.

[142] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 10.

وقد أفصح السينودس، في خط تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني[143] عن عظيم تقديره لهذا النمط من الحياة المكرَّسة حيث يمارس الرهبان الإخوة، داخل الجماعة وخارجها، خدمات جُلَّى متنوّعة، ويشاركون هكذا في المناداة بالإنجيل والشهادة له بالمحبة في الحياة اليومية. ولا شك أن بعضاً من هذه الخدم يمكن أن نعدَّها **خدماً كنسيّة حقيقية**، يقومون بها بوكالة من السلطة الشرعية. وهذا يقتضي تنشئة ملائمة وكاملة: تنشئة إنسانية وروحية ولاهوتية ورعائية ومهنية.

المؤسسات التي تملك، بفعل نيَّة المؤسس وبقوة تقليد مشروع، طابعاً وهدفاً لا يلحظان ممارسة الكهنوت المقدّس، تدعى "مؤسسات علمانية"[144]. ولكنَّ السينودس نبَّه إلى أن هذه الطريقة في التعبير لا تعكس بطريقة مناسبة الطابع الخاص الذي تتميّز به دعوة الأعضاء المنتمين إلى هذه المؤسسات الرهبانية. والواقع أن الرهبان، عندما يمارسون الأعمال الكثيرة التي يشاركون المؤمنين العلمانيين فيها، إنما يفعلون ذلك انطلاقاً من هويتهم المكرَّسة ويعبّرون هكذا عن روح عطاء كامل للمسيح وللكنيسة وفقاً لموهبتهم المميّزة.

لهذا اقترح الأباء السينودسيون عبارة "المؤسسات الرهبانية للأخوة"[145]، تجنباً لكل التباس وكل خلط مع الطابع العلماني للمؤمنين العلمانيين[146]. هذا الاقتراح له مغزاه، خصوصاً إذا لاحظنا أن لفظة "الأخ" تلهم أيضاً محتوىً روحياً ثرياً. "هؤلاء الرهبان مدعوّون إلى أن يكونوا إخوة للمسيح، متحدين به اتحاداً عميقاً "هو البكر بين إخوة كثيرين"، (روم 29/8) وإخوة في ما بينهم، في المحبة المتبادلة والتعاون في الخدمة الواحدة لتحقيق الخير في الكنيسة، وإخوة لكل إنسان، بشهادة محبَّة المسيح للجميع، وبخاصة للإخوة الأصاغر والمحتاجين، وإخوةً أعظم في الكنيسة"[147]. إن "الرهبان الإخوة" الذين يعيشون بطريقة خاصة هذا النمط المشترك بين الحياة المسيحيّة والحياة المكرَّسة، يتذكّرون، بوجه فعّال، الرهبان الكهنة أنفسهم بالطابع الأساسي للأخوّة في المسيح التي يجب أن يحققوها في ما بينهم، وتجاه كل رجل وكل امرأة، ويعلنون للجميع كلام الرب: "أنتم جميعاً إخوة" (متى 8/23).

في هذه المؤسسات الرهبانية للإخوة، لا شيء يمنع، إذا قرّر المجمع العام ذلك، أن ينال بعض الأعضاء الدرجات المقدَّسة ليتمكنوا من أن يؤدوا للجماعة الرهبانية الخدمة الكهنوتية[148] إلّا أن المجمع الفاتيكاني الثاني لا

---

[143] المرجع نفسه فقرة 8؛ 10.

[144] الحق القانوني الغربي، قانون 588، بند 3؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 10.

[145] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 31.

[146] التوصية 8.

[147] يوحنا بولس الثاني، الخطاب الذي ألقاه في الجمعيّة العمومية (22 شباط 1995)، فقرة 6: الوثائق الكاثوليكية 92 (1995)، ص 306.

[148] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 10.

يشجّع البتة صراحة هذا التوجه، رغبة منه في أن تظل مؤسسات الإخوة وفيَّة لدعوتها وسالتها. وهذا يصِحُّ أيضاً في مهمة الرئاسة التي تعكس، بطريقة خاصة، طبيعة المؤسسة نفسها.

إن دعوة الإخوة في المؤسسات المسمّاة "بالإكليريكيَّة" هي غير ذلك، لأن هذه المؤسسات، بموجب نيَّة مؤسسها أو بقوَّة تقليد شرعي، تلحظ ممارسة الدرجات الكهنوتية، ويسوسها إكليريكيّون، وهي كذلك في نظر السلطة الكنسيَّة[149]. في هذه المؤسسات، تشكّل الخدمة الكهنوتية جزءاً لا يتجزأ من الموهبة نفسها، وتحدِّد طبيعتها وغايتها وروحها. وجود الإخوة فيها هو نوع مميّز من المشاركة في رسالة المؤسسة، ترافقها خدمة مؤمّنة داخل الجماعة أو في مهمَّات رسولية، بالتعاون مع الذين يمارسون الخدمة الكهنوتية.

المؤسسات المختلطة

61- ثمة مؤسّسات رهبانية كانت، في نيَّة المؤسّس الأولى، في نيَّة المؤسّس الأولى، بمثابة "أُخوَّات" كل أعضائها، الكهنة وغير الكهنة، يُعتبرون متساوين؛ ثم تطوَّرت، على محكِ الزمن، واتخذت صيغة مختلفة. هذه المؤسسات، المسمّاة "مختلطة" ينبغي أن تبحث في فائدة وإمكان العودة إلى وحي الجذور، وذلك يعد التمعّن في موهبتها الأساسية الخاصة.

لقد أعرب الآباء السنودسيون عن أمنيتهم أن تُقَرَّ لكل الرهبان، في هذه المؤسسات، المساواةُ في الحقوق والواجبات، باستثناء ما ينجم عن الرتبة المقدَّسة[150]. لقد أنشئت لجنة خاصة لبحث وحَلِّ المشكلات المتصلة بهذه القضية، ومن المفيد أن ننتظر نتائج عملها لاتخاذ الخيارات الملائمة، وفقاً لما سيتحدد شرعياً.

أنماط جديدة في الحياة الإنجيلية

62- إن الروح الذي بعث، في أزمنة أخرى، طُرقاً كثيرة في الحياة المكرَّسة، لا ينفك يُنجد الكنيسة، فيحرِّك تارة، في المؤسسات القائمة، العهد على التجدّد في الأمانة لموهبة الجذور، ويُسبغ، تارة أخرى، مواهب جديدة على رجالٍ ونساءٍ من عصرنا، لينشئوا مؤسَّسات تواجه تحديات اليوم. وما يُسمَّى **بالمؤسسات الجديدة** وما تتصف به من ميزات فريدة، نوعاً ما، بإزاء الميزات التقليديَّة، إنما هو علامة هذا التدخّل الإلهي.

فرديَّة الجماعات الجديدة، قوامها تَوافُق رجال ونساء، إكليريكيين وعلمانيين، مزوَّجين وعزب، على انتهاج نمط حياة خاص، مستوحى أحياناً من إحدى الصيغ التقليدية أو مكيَّف بموجب مقتضيات المجتمع المعاصر. التزامهم

[149] الحق القانوني الغربي، قانون 588، بند 2.

[150] التوصية 10؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 15.

الحياة الإنجيليَّة يعبّرون عنه بأشكال مختلفة، يسودها توجه عام وتوق حثيث إلى الحياة الجماعية والفقر والصلاة. ويشارك في الإدارة إكليريكيون وعلمانيون وفقاً لكفاءاتهم. وأما تطلعاتهم الرسولية فتُطِلُّ على مستلزمات البشارة الجديدة.

لا يمكننا إلّا أن نجذل، من جهة، لعمل الروح، ولكن لا بدّ، من جهة أخرى، من أن نعمد إلى **تمحيص المواهب**. فلكي يسوغ لنا التكلم عن حياةٍ مكرَّسة، فالمبدأ الأساسي هو أن الملامح التي تتميز بها الجماعات الجديدة وأنماط حياتها يجب أن ترتكز على المقوّمات اللاهوتية والقانونية الجوهرية التي تميّز الحياة المكرَّسة[151]. هذا التمييز لا بدَّ منه على الصعيد المحلّي كما على الصعيد العام، حرصاً على الطاعة الشاملة للروح الواحد. على الأسقف، في كل أبرشية، أن يتفحص سلامة المعتقد وشهادة الحياة لدى مؤسِّسي ومؤسِّسات هذه الجماعات، وروحانيتهم والحسّ الكنسي في تحقيق رسالتهم، وأساليب التنشئة وطرق الانتساب إلى الجماعة. وعلى الأسقف أيضاً أن يحك بفطنة في الشوائب المحتملة وينتظر بصبرٍ برهان الثمار (متى 16/7)، ليتمكن من الوقوف على سلامة الموهبة[152]. ويُطلب من الأسقف، بوجه خاص، أن يستند إلى ضوابط واضحة ليتحقق من أهلية من يطلبون ارتقاء الدرجات المقدَّسة[153]، من بين أعضاء هذه الجماعات.

من منطلق مبدأ التمييز هذا، لا يجوز أن نُقحِم في صنف الحياة المكرَّسة، أشكالاً، وإن حميدة، من الالتزام، يتعهَّد بها أزواج مسيحيون ضمن جمعيات أو حركات كنسيّة، عندما يتوخَّون أن يوصلوا إلى كمال المحبّة حبَّهم المكرَّس، نوعا ما، في سرّ الزواج[154]، ويرسّخون بنذرٍ واجب العفّة المطلوبة في الحياة الزوجيّة، ويعتنقون الفقر والطاعة[155]، مع مراعاة واجباتهم تجاه أبنائهم. هذا الإيضاح الضروري لطبيعة هذه الاختبارات، ليس الغرض منه انتقاض قيمة هذه الطريقة الخاصة في التماس القداسة التي لا يغرب عنها عمل الروح الغنيّ بلا حدود بالمواهب والايحاءات.

في مواجهة مثل هذا الفيض من المواهب وعزائم التجديد، قد يكون من المفيد **إنشاء لجنة معنيَّة بالقضايا المتعلّقة بالأنماط الجديدة في الحياة المكرّسة**، لتقيم من الضوابط ومقاييس الأصالة ما يساعد في التمييز والتقرير[156].

---

[151] الحق القانوني الغربي، قانون 573؛ مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، قانون 410.

[152] التوصية 13، ب.

[153] التوصية 13، ج.

[154] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، فرح ورجاء، فقرة 48.

[155] التوصية 13، أ.

[156] التوصية 13 ب.

من جملة مهامّ هذه اللجنة أن ترى، في ضوء خبرة الحِقب الأخيرة، أي أشكال جديدة في التكرّس تستطيع السلطة الكنسيَّة الموافقة عليها رسمياً، بفطنة راعوية وللصالح العام، واقتراحها على المؤمنين الذين يتوقون إلى حياة مسيحيَّة أكمل.

هذه الجمعيات الجديدة في الحياة الإنجيلية **لا تقوم مقام** المؤسسات السابقة التي لا تزال تشغل المرتبة الراقية التي حدّدها لها التقليد. الأنماط الجديدة هي أيضاً من عطايا الروح لتتمكن الكنيسة من اتباع سيدها بعزمٍ دائم وناشط وتنبّه لنداءات الله المنتهية إلينا عبر علامات الأزمنة. وهكذا تظهر الكنيسة للعالم، بأشكال متنوّعة في القداسة والخدمة، "**علامةً وأداةً للاتحاد الحميم بالله ووحدة الجنش البشري برمته**"[157]. المؤسسات القديمة التي مرَّ جلها بغربال محنٍ شديدة، وتحمّلتها بشجاعة عبر الأجيال، بوسعها أن تغتني بالحوار وتبادل المواهب مع المؤسسات التي تنشأ في زماننا.

هكذا يتضح لنا أن مؤسسات الحياة المكرَّسة على أنواعها، من أقدمها إلى أحدثها، وكذلك الجماعات الجديدة، تملك من الحيويّة ومن الديناميّة ما يؤهلها للاستمرار في أمانتها للروح القدس، مبدأ كل شركة وكل تجدّد دائم في الحياة.

3– نظرة إلى المستقبل

مصاعب ورؤىً مستقبلية

63– إن ما يطرأ، في غير بقعة من العالم، من تحوّلات راهنة في المجتمع، وتضاؤل عدد الدعوات، يبهظ الحياة المكرَّسة. الأعمال الرسولية التي تضطلع بها مؤسسات كثيرة، وحتّى وجودها في بعض الكنائس الخاصة، أمست مهدّدة. بل هنال مؤسسات توشك أن تضمحلّ، كما حدث ذلك في بعض حقب من التاريخ. إن الكنيسة الجامعة تشكر لها شكراً جزيلاً ما قامت به من مساهمة جلَّى في بنائها، بالشهادة والخدمة[158]. تقلّصها الحالي لا يلغي ما استحقته من شكر وما أنتجته من ثمارٍ بفضل جهودها.

ثمة مؤسسات أخرى تواجه معضلة إعادة تنظيم أعمالها. هذه المهمّة الشاقة والمؤلمة أحياناً كثيرة تقتضي بحثاً وتمييزاً في ضوء بعض المقاييس. من المفيد، مثلاً، الحفاظ على معنى الموهبة الخاصة، وتعزيز الحياة الأخوية والتنبّه

[157] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، فقرة 1.

[158] التوصية 24.

لحاجات الكنيسة الجامعة والخاصة، والعناية بما يتغافل عنه العالم، وتلبيه أحوال الفقر الجديدة، تلبية سخيّة وجريئة، وإن بأعمال محدودة بحكم الضرورة، وبخاصة في الأماكن القاصية[159].

المشاكل المتنوّعة الناجمة عن تقلّص العدد وتضاؤل المبادرات، **يجب ألا تُفقِد، ولا بشكل من الأشكال، في القوة الإنجيلية الكامنة في الحياة المكرَّسة**، التي ستظلّ ناشطة وفاعلة في الكنيسة. ليست هناك، ولا شك، أي مؤسسة تطمع بالديمومة، بيد أن الحياة المكرَّسة ستظلُّ تغذّي عند المؤمنين جواب المحبة لله وللإخوة. ولذا فمن الضروري أن نميّز بين **المصير التاريخي** المرتبط بمؤسسة معيَّنة أو بنمطٍ من أنماط الحياة المكرِّسة **والرسالة الكنسية** المرتبطة بالحياة المكرَّسة في حدّ ذاتها. فمصير مؤسسة من المؤسّسات الرهبانية يمكن أن يتبدّل بفعل التحوّلات الظرفية، وأما الرسالة الكنسيّة فمآلها الاستمرار. وهذا يصحّ في الحياة المكرَّسة بشكلها التأمّلي، كما يصحّ في الحياة الموقوفة لأعمال الرسالة. وعلى الحياة المكرَّسة، بوجه الإجمال، وبدافع الروح المتجدّد دائماً، أن تؤدي دوماً شهادة ناصعة للوحدة الوثقى بين محبة الله ومحبة القريب، وهي دليل ما تنطوي عليه محبّة الله من خصب حتى على الصعيد البشري والاجتماعي. لا بدَّ إذن من أن نواجه ظروف الافتقار الجديدة بطمأنينة من يعلم أن ما يُطلب منه إنما هو **التزام الأمانة أكثر من التمسّك بالنجاح**. ولا بدّ من أن نتجنب كل التجنب الإخفاق الحقيقي في المحبّة المكرَّسة، وهو لا ينجم عن تقلّص العدد، بل عن تراخينا في محبّة الربّ وفي اعتناقنا الروحي له وللدعوة الخاصة وللرسالة. فإذا ثبتنا على الوفاء وأخلصنا له فنحن نُظهر للملأ، وبكثير من الصفاء، وتجاه العالم، ثقةً راسخة بالمسيح سيّد التاريخ الذي بيده الأزمان ومصير البشر والمؤسسات والشعوب، وبيده، من ثم، تفعيل مواهبه في مختلف العصور. ظروف الأزمة المؤلمة تدفع الأشخاص المكرَّسين إلى أن يعلنوا بقوة إيمانهم بموت المسيح وقيامته ويصيروا هكذا آيات مرئية للعبور من الموت إلى الحياة.

انطلاقة جديدة في رعاية الدعوات

64- رسالة الحياة المكرَّسة وحيويَّة المؤسسات الرهبانية منوطتان، ولا شك، بالأمانة الناشطة التي بها يستجيب المكرَّسون لدعوتهم. بيد أن مستقبلهم **مرتبط بوجود رجال ونساء آخرين يتلقون نداء الرب بسخاء**. معضلة الدعوات هي من التحديَّات الحقيقية الموجَّهة مباشرة إلى المؤسسات، ولكنَّ الكنيسة كلها معنيَّة بها. ثمة طاقات روحية وماديّة هامَّة مجنّدة في رعاية الدعوات، ولكن الحصائل ليس دائماً بمستوى الترقبات والجهود. هناك، ولا شك، تزايد

[159] مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية ضمن الجماعة: "حب المسيح جمعنا واحداً" (2 شباط 1994)، فقرة 67: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 432.

ملحوظ في الكنائس الفتيّة والكنائس التي عانت من اضطهادات النُّظم التوتالية، ولكنَّ الدعوات إلى الحياة المكرَّسة أمست نادرة أحياناً في البلاد المعروفة تقليدياً بكثرة الدعوات فيها وبخاصة بالدعوات الرسالية.

هذا الوضع الصعب فيه امتحان للأشخاص المكرَّسين الذين يتساءلون أحياناً: هل فاتتنا القدرة على اجتذاب دعوات جديدة؟ لا بدّ من الإيمان بالرب يسوع الذي لا يزال يدعو الناس إلى اتّباعه والثقة بالروح القدس مصدر مواهب الحياة المكرَّسة وموجِّهها. إنه يسعدنا أن نشاهد الروح يعيد الشباب إلى عروس المسيح، وينعش الحياة المكرَّسة في بلاد كثيرة. وعلينا، من ثمّ، أن نُلِحَّ على ربِّ الحصاد ليرسل عملةً إلى كنيسته لتواجه مقتضيات البشارة الجديدة (متى 9/37–38). علاوة على تعزيز الصلاة لأجل الدعوات، من المُلِحّ أن نستحثّ المدعوين إلى الحياة المكرَّسة، بمناشدة صريحة وتعليم دينيّ مناسب، فيؤدوا جواباً حرّاً ولكن سريعاً وسخيّاً يُفعّل موهبة الدعوة.

دعوة يسوع: "تعاليا وانظرا" (يو 1/39) لا تزال حتى اليوم هي **القاعدة الذهبية** في رعاية الدعوات. فعلى مثال المؤسِّسين والمؤسِّسات، لا بدّ من استعمال هذه القاعدة **لإظهار قدرة الرب يسوع على اجتذاب النفوس،** وجمال موهبة الذات كاملة من أجل الإنجيل. فأول مهمة يقوم بها كل المكرَّسين وكل المكرَّسات هي التشجيع، بالكلام والمثال، على اعتناق هدف **اتباع المسيح،** والعمل بعد ذلك على ترسيخ الجواب، في قلوب المدعوين، لنداءات الروح.

بعد الحماس الذي يبعثه في القلب اللقاءُ الأولُ مع المسيح، لا بدَّ من مواصلة الجهد والصبر لتأدية الجواب اليومي الذي يجعل من الدعوة قصة صداقة مع الرب. ولا بدَّ أيضاً، لهذا الغرض، من أن يعمد المعنيّون برعاية الدعوات إلى استعمال الوسائل الناجعة، **كالإرشاد الروحي،** لتغذية هذا الجواب النابع من حبّ شخصي للرب، وهو شرطٌ أساسٌ ليصبح الشخص المدعوّ تلميذا ليسوع ورسول ملكوته. تكاثر الدعوات في بعض انحاء العالم يحملنا، ولا شك، على التفاؤل والرجاء. ولكن تضاؤلها، في مناطق أخرى، يجب ألا يسوقنا إلى التخاذل أو إلى التساهل أو التهوّر في اختيار الدعوات. ولا بدَّ للمعنيين بتعزيز الدعوات من أن يضطلعوا بمهمّتهم بحيث تظهر، أكثر فأكثر، بمثابة **التزام مشترك تتحمَّله الكنيسة كلها**[160]. هذه المهمّة تقتضي إذن تعاوناً حثيثاً بين الرعاة والرهبان والعيل والمربّين، بوصفها خدمة ناشبة في صميم العمل الرعائي العام، في كل كنيسة خاصة. ونتمنى أن تُنظّم في كل أبرشية هذه الخدمة المشتركة التي تنسِّق وتضاعف القدرات، ولكن من غير أن تعوف مساعي كل مؤسسة في سبيل الدعوات، بل تعزّزها[161].

هذا التعاون الحثيث بين كل أبناء شعب الله، والذي تدعمه العناية الإلهية، لا يمكن إلّا أن يجتذب وافر النعم الإلهية. وأما احتياجات تنشئة الدعوات في البلاد المعوزة فيجب أن يغطيها التضامن المسيحي. تعزيز الدعوات في هذه

[160] التوصية 48، أ.

[161] التوصية 48، ب.

البلاد، يجب أن يتحقق على عاتق المؤسسات الرهبانية بكامل التنسيق مع الكنائس الخاصة، وذلك من منطلق اندماجها اندماجاً ناشطاً ودائماً في إطار مسعاها الرعائي[162]. وأسلم طريقة في المساهمة في عمل الروح تعبئة أفضل وأسخى ما هنالك من طاقاتٍ في سبيل الدعوات، وذلك بالتنبّه خصوصاً لرعاية الشبيبة، والتفاني في سبيلها.

التنشئة الأولى

65- لقد أولت الجمعية السينودسية انتباهاً خاصاً **لتنشئة** الراغبين في التكرّس للرب[163]، وذلك اعتباراً لأهميتها الحاسمة. **فالهدف المحوري** في مسعى التنشئة هو إعداد الشخص للتكرّس لله تكرّساً كاملاً في **اتباع المسيح** وخدمة الرسالة. تلبية نداء الرب والسعي الشخصي لإنضاج الدعوة شيئاً فشيئاً هما، بلا مرا، من مسؤولية المدعوّين الذين لا بدّ لهم من أن يشرِّعوا قلبهم وحياتهم لعمل الروح القدس؛ وهذا يملي عليهم أن يتتبّعوا بسخاء منهاج التربية ويتقبلوا بإيمان الوسائط التي يقدّمها الرب والكنيسة[164].

ومن ثمّ، لا بدّ لهذه التنشئة من أن تتغلغل في أعماق الشخص نفسه، بحيث يتجلّى من خلال سيرته، في الأوقات الخطيرة كما في الظروف العاديّة من حياته، انتماؤه إلى الله انتماءً كلياً وجذلاً[165]. وبما أن غاية الحياة المكرَّسة هي التشبه بالرب يسوع **في تقدمة ذاته كلياً[166]**، فذلك خصوصاً ما يجب أن تتوخّاه التنشئة. ذلك منهاج يمكّن صاحبه من أن يتبنّى شيئاً فشيئاً مشاعر المسيح تجاه أبيه.

إذا كانت تلك هي الغاية المكرَّسة فالمسعى الذي يمهّد لها يجب أن يملك ويُظهر **طابع المطلقية**: يجب أن يتناول تنشئة الإنسان[167] كله في مختلف مقوّمات شخصيته، في المواقف كما في النوايا. ولأن هذه التنشئة تهدف، بالتحديد، إلى تغيير الشخص كله، فمن الواضح أن **مهمَّة التنشئة لا نهاية لها**. وبالتالي ينبغي أن نوفّر للأشخاص المكرَّسين فُرصاً يرسّخون فيها اعتناقهم لموهبةِ مؤسّستهم ورسالتها.

---

[162] التوصية 48، ج.

[163] التوصية 49، أ.

[164] مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، Potissimum institutioni (2 شباط 1990)، فقرة 29: أعمال الكرسي الرسولي 82 (1990)، ص 493.

[165] التوصية 49، ب.

[166] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، عناصر جوهرية من تعليم الكنيسة في الحياة المكرَّسة (31 أيار 1983)، فقرة 5: الوثائق الكاثوليكية، 80 (1983)، ص 889-890.

[167] الحق القانوني الغربي، قانون 607، بند 1.

ولكي تكمل هذه التنشئة يجب أن تشمل كل قطاعات الحياة المسيحيّة والحياة المكرَّسة، وعليها، من ثم، أن تلحظ تهيئة إنسانيّة وثقافيّة وروحيّة ورعائيّة، وتُعنى بتلاحم مختلف هذه العناصر تلاحماً نسيقاً. ويجب أن نُفسح للتنشئة الابتدائية – باعتبارها تطوّراً تدريجياً يمرّ بجميع مراحل النضج اللاهوتي والرعائي – متَّسعاً لله – لوقت يتزامن ويتناسق، في حالة الدعوات إلى الكهنوت، مع برنامج دراسيَّ مميّز يندمج في سياق تنشئة أوسع.

مهمة المنشّئين والمُنشِّئات

66- إن الله الآب، بما لا ينقطع من عطايا المسيح والروح، هو المربّي الأمثل للذين يتكرَّسون له. ولكنه، في هذا السياق، يستعين بالوساطة البشرية، ويضع إلى جانب من يدعوهم بعض الإخوة والأخَوات الأكبر سناً. وهكذا تصبح التنشئة اشتراكاً في عمل الآب الذي ينمي، بنعمة الروح، في قلوب الشبان والشابات، مشاعر الابن. على المربّين والمربّيات أن يكونوا إذن راسخين في طريق البحث عن الله، لكي يتمكّنوا من مرافقة اشخاص آخرين في هذه المسيرة. فإذا تنبَّهوا لعمل النعمة، أضحى بإمكانهم أن يحذّروهم من العقبات الخفيّة، وأن يُظهروا لهم خصوصاً روعة السير **في خطى المسيح وقيمة الموهبة التي بها تتحقق**. معارف الحكمة الروحية يجب أن تُقرن بالمعارف المستمدّة من الوسائل البشريّة والمفيدة في تمييز الدعوة وتنشئة الإنسان الجديد ليتحرَّر حقاً. الحديث الشخصي وسيلة أساسيّة في التنشئة، ينبغي اعتمادها بانتظام وتواتر، فهي طريقة فعّالة ومضمونة ولا يسوغ الاستغناء عنها.

في مواجهة مهمّات بمثل هذه الدقة يبدو من الأهمية بمكان إعداد مربّين كفوءٍ يحرصون على الاضطلاع بخدمتهم في تناغم كبير مع مسعى الكنيسة بأسرها. ومن المفيد إنشاء مؤسسات ملائمة لتنشئة المربّين، وذلك – قدر الامكان – في مواقع تُيسِّر للمربّين أن يظلُّوا على اتصال بالمحيط الثقافي الذي يمكّنهم، في ما بعد، من أن يمارسوا فيها خدمتهم الرعوية. في هذه المهمّة التربوية، تستطيع المؤسسات المستقرة أن تؤدي خدمتها للمؤسسات المنشأة حديثاً، وذلك بفضل مساهمة بعضٍ من خيرة أعضائها[168].

تنشئة جماعية ورسولية

67- بما أن التنشئة يجب أن تكون أيضاً **جماعية**، فالجماعة هي الموقع الممتاز لمؤسّسات الحياة الرهبانية وجمعيات الحياة الرسولية؛ فهي تدرّب على الجهد وعلى فرح الحياة المشتركة. في الحياة الأخوية، كل عضوٍ يتعلّم أن يعيش مع الذين وضعهم الله إلى جانبه، ويتقبَّل صفاتهم مع فوارقهم وحدودهم. ويتعلَّم خصوصاً أن يشرك الآخرين في المواهب

[168] التوصية 50.

التي تلقاها لبنيان الجميع. "فكل واحد يتلقى من تجلّيات الروح لأجل الخير العام" (1 قور 7/12)[169]. ولا بدَّ، في الوقت نفسه من أن تُنوّه الحياةُ الجماعية، منذ بدء التنشئة، بالطابع الرسالي الملتصق بحالة التكرّس. ولذا، فمن المفيد أن تعمد مؤسّسات الحياة المكرَّسة، في المرحلة الابتدائية من مراحل التنشئة، إلى اختبارات عمليَّة فطنة بمرافقة المربّي أو المربّية، لتنمية الاستعدادات الرسولية وطاقات التكيُّف وروح المبادرة، في علاقتها بالمحيط الثقافي.

من الأهمية بمكان أن ينمي الشخص المكرَّس، شيئاً فشيئاً، وعياً ناقداً مستوحىً من الإنجيل تجاه القيم ونقائضها الكامنة في محيطة الثقافي والتي سوف يلقاها في مجالات عمله في المستقبل. ولكن عليه أيضاً أن يتمرّن في فنّ بناء وحدة حياته – على ما في ذلك من مشقة – وأن يربط، برباط وثيق، محبَّته لله ومحبَّته لإخوته وأخواته، ويدرك أن الصلاة هي روح الرسالة، وأن الرسالة، هي أيضاً، تنعش الصلاة وتحفزها.

ضرورة نهج متكامِل ومستحدث

68- من المنصوح به في المؤسّسات الأنثوية، كما للرهبان الإخوة في مؤسّسات الرجال، أن تُلحظ فترةٌ مقصورة على التنشئة تدوم حتى النذر المؤبَّد. ويصحُّ هذا أيضاً جوهرياً في الجماعات المحصَّنة التي يجب أن تضع برنامجاً مناسباً لكي تُوفّر للحياة التأملية ولرسالتها الخاصة في الكنيسة، تنشئةٌ صحيحة.

لقد ناشد الآباء السينودسيون مناشدةً حثيثة جميع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية أن تضع، بأسرع ما يمكن، منهج المؤسسة، أي برنامج تنشئة مستوحىً من فكرة المؤسّس، يبيّن بطريقة واضحة وحافزة معالم الطريق الذي يجب اتباعه لاستيعاب روحانية المؤسسة استيعاباً كاملاً. هذا المنهاج يلبّي اليوم ضرورة ماسَّة: فهو، من جهة، يبيّن كيف يُورَّث روح المؤسسة وكيف يجب أن تمارسه الأجيالُ الصاعدة ممارسة صحيحة، وسط الثقافات والأوضاع الجغرافية على أنواعها. وهو يعرض، من جهة أخرى، على الأشخاص المكرَّسين، كيف يعيشون هذا الروح في مختلف مراحل الحياة، وكيف يطوّرون إيمانهم بالمسيح ويبلغون به إلى كامل نضجه.

إذا صحّ أن تجدّد الحياة المكرَّسة مرهون، بالدرجة الأولى، بالتنشئة، فإنه يصحّ أيضاً أن التنشئة مرتبطة، هي أيضاً، بالقدرة على اقتراح أسلوب غنيّ بحكمته الروحية والتربوية، وقادر على أن يقود المرشحين للحياة المكرَّسة إلى اقتباس مشاعر المسيح الربّ. التنشئة مسعى حيويّ يثيبنا إلى كلمة الله، في قرارة كياننا، ويعلّمنا، في الوقت نفسه، كيف نلتمس آيات الله وسط الوقائع الدنيوية. هذا المسعى التربوي، في زمن أخذت في الحضارة تنأى شيئاً فشيئاً عن

[169] مجمع مؤسّسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية في الجماعة، "حب المسيح جمعنا واحداً" (2 شباط 1994) فقرة 32-33: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 420.

القيم الدينية، يكتسب أهمية مضاعفة: فالشخص المكرَّس، بفضل هذه التنشئة، لا يكتفي بأن "يرى" الله بعين الإيمان، في عالم يجهل حضوره، بل يفلح في أن يجعل حضوره "محسوساً" نوعاً ما، بشهادة نابعةٍ من ممارسة موهبته.

التنشئة الدائمة

69- التنشئة الدائمة، في مؤسسات الحياة الرسولية، كما في مؤسسات الحياة التأملية، هي جزءٌ من مقتضيات التكرّس الرهباني. منهاج التنشئة لا يقتصر، كما قلنا، على مرحلته الابتدائية، وذلك بأن الشخص المكرَّس، بسبب حدوده البشريّة، لا يسوغ له البتة أن يضع حداً للفترة التي يحتاجها لإنضاج ذاك الانسان الجديد الذي يوجس في ذاته، في كل ظروف الحياة، مشاعر المسيح نفسه. لا بدَّ إذن من أن تعزّز هذه التنشئة **الابتدائية** بالتنشئة **الدائمة** التي تُعِدُّ الأشخاص المكرَّسين لأن يواصلوا عمل تنشئتهم كل أيام حياتهم[170].

وبالتالي، فإنه من الأهمية بمكان أن تَلحَظّ كلُّ مؤسسة، في إطار **منهاجها التربوي**، تحديد برنامج تنشئةٍ دائمة، واضح ونظيم، يكون هدفه الرئيسي توجيه كل الأشخاص المكرَّسين، بواسطة برنامج مستمر يمتد على مدى الحياة. لا يجوز لأحد أن يستعفي من الاهتمام بنموّه البشري والديني. وكذلك لا يجوز لأحدٍ أن يتمادى في الاعتماد على ذاته والاكتفاء بوسائله الذاتية لقيادة حياته. ولا يستطيع أحد، في أي مرحلة من مراحل حياته، أن يعتبر ذاته واثقاً من نفسه وحاراً في تقواه إلى حدّ الاستغناء عن ضرورة القيام بجهود محدّدة تضمن له الاستمرار في الأمانة. وكذلك ليس ثمة من سنٍّ يستطيع في الإنسان أن يعتبر ذاته في نهاية مسيرة نضجه.

ديناميّة الأمانة

70- ثمة فتوّة روحٍ تستمرُّ في الزمن: وهي مرتبطة بكون الإنسان يلتمس ويجد، في كلّ مراحل حياته، مهمَّة جديدة يضطلع بها، وطريقة مميّزة في الكيان والخدمة والحبّ[171].

في الحياة المكرَّسة، **السنوات الأولى التي يندمج فيها الإنسان في العمل الرسولي** تشكّل مرحلة دقيقة في حدّ ذاتها، وهي مرحلة الانتقال من حياة موجّهة إلى حالةٍ من **المسؤولية الكاملة في العمل**. من الأهميّة بمكان أن

---

[170] التوصية 51.

[171] مجمع مؤسّسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية في الجماعة، "حب المسيح جمعنا واحداً" (2 شباط 1994) فقرة 43-45: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 423-424.

يلقى الأشخاص المكرَّسون الشباب دعماً ومرافقة من قبل أخٍ أو أخت يساعدانهم في أن يعيشوا ملء فتوّة حبّهم وتعلّقهم بالمسيح.

أما المرحلة التالية فقد تكون مرحلة **الانزلاق في الرتابة**، والتعرّض للفشل بسبب ضحالة النتائج. فلا بدّ، والحالة هذه، من أن نساعد الأشخاص المكرَّسين من ذوي الأعمار المتوسّطة في أن يستعيدوا، في ضوء الإنجيل ووحي موهبتهم، خيارَهم الأول، ولا يخلطوا مطلقيّة العطاء بمطلقية النتيجة. وفي هذا ما يفسح المجال للتسلّح بعزمٍ جديد وحوافز جديدة لما اتخذوه من خيار شخصي. إنه زمن البحث عن الجوهر.

مرحلة سن النضج قد تحتمل، إلى جانب النموّ الشخصي، **خطر الوقوع في فردانية** يرافقها الخوف من عدم التكيّف مع العصر، وكذلك بعض عوارض التصلّب والانغلاق والتراخي. هدف التنشئة الدائمة، في هذه الحال، لا ينحصر في استعادة ممارسة روحية ورسولية أكثر توقّداً، بل أيضاً في اكتشاف مزيّة هذه المرحلة من الحياة. فعندما تتنقَّى بعض ملامح الشخصية فتقدمة الذات لله تصبح أكثر خلوصاً وسخاء وينعكس ذلك على الإخوة والأخوات بمزيد من الهدوء والخفر، بل بمزيد من الشفوف وسبوغ النعمة. تلك عطية الأبوة والأمومة الروحيتين وخبرتهما.

مع **تقدم السن** تنشأ معضلات جديدة لا بدّ من التأهب لها قبل وقوعها، بالركون إلى برنامج فطن يؤمّن للشخص المكرَّس دعماً روحياً. التخلّي تدريجياً عن العمل، وفي بعض الأحوال، المرض والبطالة المرغمة هي بمثابة خبرة قد تتحوّل إلى أسلوب تربويّ عميق. هذه المرحلة، على ما تتضمّنه غالباً من ظروف مؤلمة، توفِّرُ للشخص المكرَّس المتقدِّم في السن مجالاً للتدرّب في الخبرة الفصحية[172]، والتصوّر بصورة المسيح المصلوب الذي يعمل، في كل شيء، بإرادة الآب الذي في يديه يستودع ذاته ويسلم روحه. هذا التصوّر بصورة المسيح هي طريقة جديدة في ممارسة التكرّس، لا ترتبط بفاعلية ما نقوم به من عمل إداري أو نشاط رسولي.

عندما تحين، بعد ذلك، **لحظة الاتحاد بالساعة الأخيرة التي تمّت فيها آلام المسيح**، يعلم الشخص المكرَّس أن الآب يُكمل فيه ذاك الطريق الخفي، طريق التنشئة التي ابتدأها منذ زمن بعيد. وسوف يكون موته مرتقباً ومهيأً كعمل أخير من أعمال حبِّه وعطائه.

نضيف إلى ما سبق أن كل إنسانٍ يستطيع أن يمرّ بأوضاع حرجة في كل مراحل حياته، وذلك بسبب ظروف خارجية – كالانتقال من مركز إلى مركز أو من خدمة إلى خدمة، أو كمواجهة مصاعب في العمل أو إخفاق رسولي

[172] مجمع مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية، Potissimum institutioni (2 شباط 1990)، فقرة 70: أعمال الكرسي الرسولي 82 (1990)، ص 513-514.

أو تصادم في الأفكار أو استبعاد... – أو لأسباب شخصية محضة – كالأمراض الجسدية أو النفسية، أو القحط الروحي، أو الحداد، أو المعضلات في العلاقات بالآخرين أو المشادَّات العنيفة أو أزمات الإيمان والهويّة، أو الشعور بعدم الجدوى – أو لآسباب أخرى. وعندما يصعب على الشخص المكرَّس أن يستمر في الأمانة، يجب أن نحوّطه بمزيد من الدعم والثقة والمحبّة، على الصعيد الشخصي كما على الصعيد الجماعي. وعلاوة على ذلك كلّه لا بدّ من وقوف الرئيس إلى جانبه. ولا شك أن نجدة أخٍ أو أختٍ مختبرَين هي بمثابة دعم كبير. حضورهما المتعاطف والمتدارك وأهبتهما للخدمة يمكّنانه من اكتشاف معنى الميثاق الذي قطعه الله معه أولاً والذي ليس لله أي نيّة في التنكر له. وهكذا يتوصَّل الإنسان الممتحن إلى قبول التنقية والتجرد سبيلاً مميّزاً لاتّباع المسيح المصلوب. وتكون المحنة نفسها بمثابة وسيلة ربّانية للتنشئة بين يدي الآب، وبمثابة جهاد ليس **فقط نفساني** يخوضه الأنا في علاقته بذاته وبشاوائبه، بل **ديني** يتميّز كل يوم بحضور الله وقدرة الصليب.

أبعاد التنشئة الدائمة

71- إذا كان الإنسان، في كل مراحل حياته، هو المسؤول عن تنشئة ذاته، فغاية التنشئة إنما هي الكائن البشري بكل أبعاده، والمدعوّ إلى التماس الله وحبّه "بكل قلبه وكل نفسه وكل قدرته" (تث 5/6) وقريبه كنفسه (أح 18/19؛ متى 37/22-39). محبّة الله والإخوة قوّة دافعة، بوسعها أن تكون منبع وحي في طريق النموّ والأمانة.

الحياة في الروح هي الأولى بطبيعة الحال، فيها يجد الشخص المكرَّس هويَّته وصفاءً عميقاً. وهي تنمي إصغاءه إلى النداءات اليومية الكامنة في كلام الله، وتستوحي فكرة المؤسَّسة الأصلية. أوقات الصلاة والصمت والوحدة يجب أن تخضع لعمل الروح، مصونةً ومواظباً عليها، مع الطلب الملحّ إلى العليّ أن يَمنَّ بنعمة الحكمة في عمل كل يوم (حك 10/9).

البعد الإنساني والأخوي، في الحياة المكرَّسة، يفترض في الشخص المكرَّس معرفة ذاته وحدوده فيلقى في ذلك حفزاً ودعماً مؤاتياً في طريق التحرّر الكامل. في القرائن الراهنة يجب أن نولي أهميّة خاصّة للحريَّة الباطنة لدى الشخص المكرَّس واتزانِ عواطفه وقدرته على التواصل مع الجميع، وبخاصة داخل جماعته، وصفاء ذهنه وشفقته على المعذّبين، وعشقه للحقيقة، والتناسق شيئاً فشيئاً بين كلامه وفعله.

البعد الرسولي يفتح ذهن الشخص المكرَّس وقلبه ويؤهبّه للقيام بجهد متواصل في العمل، وذلك دليل محبَّة المسيح التي تحثّه (2 قو 14/5). وهذا يعني، عملياً، تبيان أساليب الأعمال الرسولية وأهدافها، في الأمانة لروح

المؤسِّس والمؤسِّسة ومقاصدهما، وللتقاليد الموضوعية لاحقاً، في الوسط الذي يتم فيه العمل، مع اعتبار ما يتبدّل من الضروف التاريخيّة والثقافيّة، العالمية والمحليّة.

البعد الثقافي المهني يرتكز على تنشئة لاهوتيّة متينة تؤهل الشخص المكرَّس للتمييز؛ وهو يفرض تطوّراً متواصلاً وتنبّهاً خاصاً لمختلف القطاعات التي تتوخّاها كل موهبة. من الضروري إذن أن يظلّ الذهن على أعلى درجة من الانفتاح والطواعية لكي تتمَّ الخدمة، في التصوّر والتحقيق، بحسب مقتضيات العصر، وبالإفادة من الوسائل التي يوفّرها التقدّم الثقافي.

وأخيراً، **من ناحية الموهبة،** تجتمع المقتضيات الأخرى في خلاصةٍ تفرض مواصلة التعمّق في كل نمط من أنماط التكرّس في مختلف مقوّماته الرسوليّة والزهديّة والصوفيّة أيضاً. وهذا يفترض، عند جميع الأعضاء، المواظبة على استقصاء روح المؤسّسة التي ينتمون إليها وتاريخها ورسالتها، للتمكن من استيعابها شخصياً وجماعياً[173].

[173] المرجع ذاته، فقرة 68: الموضع المشار اليه، ص 512.

الفصل الثالث

خدمة المحبة

الحياة المكرّسة انعكاس حبّ الله في العالم

مكرّسون للخدمة

72- إن الذين دعاهم الله لاتّباعه، على مثال يسوع الابن الحبيب "الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم" (يو 36/10) هم أيضاً مكرّسون ومرسلون إلى العالم، ليحذوا حذوه ويواصلوا رسالته. هذا يصحّ في كل التلاميذ بعامة، ولكنه ينطبق، بخاصة، على المدعوّين إلى اتباع المسيح "عن كثب" في الحياة المكرّسة بشكلها المميز، وجعله "كل شيء" في حياتهم. دعوتهم تتضمن إذن **التطوّع لبذل ذاتهم بذلاً كاملاً في سبيل الرسالة**؛ ثم إن الحياة المكرّسة نفسها، بفعل الروح القدس، مصدر كل دعوة وكل موهبة، تصبح رسالة، على غرار ما كانت عليه حياة يسوع كلها. من هذا الملحظ أيضاً، اعتناق المشورات الإنجيلية الذي يحرّر الإنسان كلياً لخدمة الإنجيل، يكتسب أهمية واضحة. لا بدّ إذن من التأكيد **أن الرسالة هي عنصر جوهري لكل المؤسسات**، لا لمؤسسات الحياة الرسولية العاملة وحسب، بل لمؤسسات الحياة التأملية.

ولا بدع، فالرسالة، قبل أن تتميّز بالأعمال الخارجية، قوامها استحضار المسيح نفسه في العالم، بالشهادة الشخصية. ذاك هو التحدي وذاك هو الهدف الأول للحياة المكرّسة. وبمقدار ما نتصوّر بصورة المسيح، نستحضره في العالم عاملاً فيه لخلاص البشر.

يسوغ القول إذن أن الشخص المكرّس هو في "حالة إرسال" بفعل تكرّسه الذي يؤدي عنه شهادة مستوحاة من هدف المؤسسة. عندما تلحظ الموهبة التأسيسية أعمالاً رعائية، فمن البديهي أن شهادة الحياة وأعمال الرسالة أو الترقية البشرية هي أيضاً مُلزمة: ففي ذلك كله يغدو المسيح حاضراً في العالم، هو الذي كُرِّس لمجد الآب، وأرسِل إلى العالم لخلاص إخوته وأخواته[174].

وعلاوة على ذلك، فالحياة الرهبانية لها حصة في رسالة المسيبح، عن طريق عنصر آخر يميّزها، وهو **الحياة الأخوية ضمن الجماعة ولأجل الرسالة**. ومن ثم فالحياة الرهبانية تكون رسولية، بمقدار ما تزداد عمقاً هبةُ الذات للرب يسوع، وأخوّةً نمطُ الحياة الجماعية، ووهجاً التطوعُ للرسالة المميّزة التي تضطلع بها المؤسسة.

---

[174] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 46.

في خدمة الله والإنسان

73- إن الحياة المكرّسة تتلّقى من الله رسالة النبوية، رسالة **التذكير بقصد الله في الناس** والاضطلاع بخدمة هذا القصد، كما يعلنه الكتاب المقدس وكما تظهره آيات العناية الإلهية في التاريخ، إذا عرفنا أن نقرأها بانتباه وتمعّن. إنه قصد الله في بشرية تحظى بالخلاص والمصالحة (قول 2/20-22). وتحقيقاً لهذه الخدمة لا بدّ للأشخاص المكرّسين من أن يخبروا الله خبرة عميقة، ويعوا تحدّيات عصرهم، ويكتشفوا مغزاها اللاهوتي العميق بتمحيصٍ ودعمٍ من الروح. ولا غرو ففي أحداث التاريخ يكمن غالباً نداء الله إلى العمل طبقاً لمقاصده والاهتمام، بطريقة ناشطة ومثمرة، بقضايا عصرنا[175].

تفسير علامات الأزمنة، بحسب المجمع، يجب أن يتمّ في ضوء الإنجيل، فنتمكّن من "الإجابة عن الأسئلة المزمنة التي يطرحها الناس في معنى الحياة الحاضرة والآتية وفي العلاقات القائمة في ما بينهم"[176]. لا بدّ إذن من أن نفتح أنفسنا لإيحاءات الروح الباطنة، وهو يدعونا إلى أن ندرك بعمق مقاصد العناية الإلهية. فالروح يدعو الحياة المكرّسة إلى صياغة أجوبةٍ جديدة للمعضلات الجديدة الناشئة في عصرنا. تلك نداءات لا تستطيع إلاّ النفوس المعوّدة أن تلتمس في كل شيء إرادة الله، أن تتلقاها بإخلاص وتترجمها بشجاعة، بخيارات تتلاءم وأهداف المؤسسة الأصيلة ومستلزمات الوضع التاريخي الراهن.

في مواجهة المعضلات والملحَّات الكثيرة التي قد تعيق بل تهدّد الحياة المكرّسة أحياناً، لا يستطيع أصحاب هذه الدعوة إلاّ أن يوجسوا ضرورة التعهد بأن يحملوا في قلبهم وصلاتهم الحاجات الكثيرة التي يعانيها العالم بأسره، مع العمل الحثيث في المجالات المتصلة بأهداف المؤسسة. ومن البديهي أن يتوجّه سعيهم الرسولي بوحي التمييز الفائق الطبيعة الذي يمحِّص ما يأتي من الروح مما يتصدى لهذا الروح (غل 5/16-17، 22؛ 1 يو 4/6). هذا التمييز يتم في ملء الشركة مع الكنيسة، وفي الأمانة للقوانين والفرائض[177].

هكذا لا تكتفي الحياة المكرّسة بقراءة علامات الزمن، بل عليها أن تساهم أيضاً في صياغة وتحقيق **برامج جديدة في عمل البشارة**، تتآلف والأوضاع الراهنة. كل هذا يجب أن يتمَّ في يقين الإيمان بأن الروح يعرف كيف يُلهم الأجوبة المناسبة للقضايا المحرجة. قد يكون من المفيد، في هذا الصدد، أن نستعيد ما وصَلَنَا من تعليم المعلّمين الكبار

---

175 التوصية 35، أ.

176 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **فرح ورجاء**، فقرة 4.

177 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 12.

في شأن العمل الرسولي: يجب أن نثق بالله كما لو كان كل شيء رهنَ إرادته، وأن نلتزم الرسالة، في الوقت نفسه، كما لو كان كل شيء رهن نشاطنا.

تعاون كنسي وروحانية رسولية

74- يجب أن يتم كل شيء في **الشركة والحوار** مع سائر المراجع الكنسية. تحديات الرسالة هي من الخطورة بحيث لا نقوى على مواجهتها مواجهة فاعلة، بمعزل عن تعاون كل أعضاء الكنيسة في التمييز كما في التنفيذ. يصعب على الأفراد أن يواجهوا هذه المعضلات بأجوبة شافية؛ ولكن هذه الأجوبة يمكن أن تنبجس من المناقشة والحوار. بإمكان المشاركة الناشطة، خصوصاً بين مختلف المواهب، أن تضمن للمؤسسات الرهبانية، فضلاً عما يمكن أن تجنيه من ثروة متبادلة، فعالية أعظم في الرسالة. خبرة هذه السنين الأخيرة تثبت بطريقة وافية أن "الحوار هو الوجه الجديد للمحبة"[178]، وبخاصة المحبة التي تمارسها الكنيسة. الحوار يساعد في رؤية المشاكل في أبعادها الحقيقية ويمكّن من مواجهتها بحظٍ أوفر من النجاح. فالحياة المكرّسة، بمجرد اهتمامها لقيمة الحياة الأخويّة، تشكل خبرة مميّزة في الحوار، وبإمكانها، بالتالي، أن تساهم في خلق جو من تقبّل الأفراد بعضهم لبعض، يشعر فيه الأعضاء الكنسيون أنهم ينعمون باحترام الآخرين لكفاءاتهم، وينضمون بعضهم إلى بعض، بمزيد من الإقتناع، في شركة الكنيسة المشدودة هي نفسها إلى رسالتها العالمية الكبرى.

المؤسسات المتجنّدة لمختلف أشكال الخدمة الرسولية يجب **أن تمارس روحانية عمل متينة**، فترى الله في كل شيء وكل شيء في الله. "لا بدّ من أن نعلم أنه إذا اقتضى تنظيم الحياة تنظيماً حسناً أن ننتقل من حياة العمل إلى حياة التأمل، فقد يكون من المفيد، أحياناً كثيرة، أن يرتدّ الروح من حياة التأمل إلى حياة العمل، لكي يتمكّن اللهيب المشتعل في الذهن بواسطة التأمل من أن يبلغ إلى أوج كماله في العمل. وهكذا يجب أن تقودنا حياة العمل إلى حياة التأمل، ومن ثم، إذا ارتكزت حياة التأمل على ما نكون قد جنيناه من الذهن، فهي تعود بنا إلى العمل بطريقة أضمن"[179]. وقد أوضح لنا يسوع نفسه بأجلى بيان، كيف نستطيع أن نوّحد بين شركتنا مع الآب وحياة عمل ناشطة. فبدون سعي متواصل إلى هذه الوحدة، سوف يتربّص بنا دائماً خطرُ الانهيار الباطن والضياع واليأس. الوحدة الوثقى بين التأمل والعمل، من شأنها أن تواجه اليوم، كما في الأمس، أصعبَ المهامِّ الرسولية.

---

178 بولس السادس، كنيسة المسيح (6 آب 1964)، 3: أعمال الكرسي الرسولي 56 (1964) ص 639.

179 القديس غوريغوريوس الكبير، عظة في النبي حزقيال، 2، 2، 11: المصادر المسيحية 360، ص 113.

1- المحبة حتى النهاية

حبَّنا في قلب المسيح

75- لقد أحبّ خاصَّته الذين في العالم، إلى أقصى حدود الحب. وفي أثناء العشاء [...] قام فخلع ثيابه [...] وأخذ يغسل أقدام التلاميذ ويمسحها بالمنديل الذي ائتزر به "(يو 13/1-2، 4-5).

في أثناء الغسل، كشف يسوع عمق حب الله للإنسان: ففيه نرى الله في خدمة البشر! وكشف أيضاً معنى الحياة المسيحية، وبالأوْلى معنى الحياة المكرّسة، وهي **حياة حب قرباني** وخدمة عمليّة وسخيّة. إن الحياة المكرّسة، باتباعها ابن البشر "الذي لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم" (متى 28/20)، قد تميّزت، أقله في أجمل حقب تاريخها الطويل، بهذا "الغسل" أي بالخدمة المميزة لأشد الناس عوزاً وحرماناً. فلئن كانت الحياة المكرّسة، من جهة، تتأمل سرّ الكلمة سنيّاً في حضن الآب (يو 1/1) فهي، من جهة أخرى، تسير في خطى نفس هذا المسيح – الكلمة الذي تأنّس (يو 14/1) وتنازل واتّضع لخدمة البشر.إن الذين لا ينفكّون، حتى اليوم، يسيرون وراء المسيح في درب المشورات الإنجيلية، يريدون أن يذهبوا إلى حيث ذهب ويصنعوا ما صنعه.

ولا يزال المسيح ينادي تلاميذ جدداً، رجالاً ونساءً، ليشركهم، بفيض الروح، (روم 5/5) في **الحب الإلهي** وفي طريقة الحب، وليدفعهم هكذا إلى خدمة الغير، في تواضع العطاء، وبمنأى عن الحسابات المصلحية. إن بطرس الذي اجتذبه ضياء التجلّي وصرخ قائلاً: "يا رب، حسن أن نكون ههنا" (متى 4/17)، دعاه الرب إلى أن يرجع إلى دروب العالم، لكي يتسمرّ في خدمة ملكوت الله: "انزل يا بطرس! لقد كان بودّك أن تستريح في الجبل، ألا أنزل ونادِ بالكلمة بوقتها وبغير وقتها ووبّخ وحُضَّ وشجّع بلطف كثير وبكل تعليم. واعمل جاهداً وتحمّل ضروب التنكيل لتدرك ما معنى ثياب الرب البيض، ببياض وجمال عملك المستوحى من المحبة"[180]. فلئن شخص الرسول بنظره إلى وجه الرب، فهو لا يقلّل بذلك تطوّعه في سبيل الإنسان، بل هو بالعكس يقوّيه ويضفي عليه أهبة جديدة للتأثير في التاريخ وتحريره من كل ما يفسده.

التماس الجمال الإلهي يدفع الأشخاص المكرّسين إلى الإنشغال بالصورة الإلهية المشوّهة في وجه إخوتهم وأخواتهم: الوجوه الكالحة من الجوع، الوجوه الخائبة من الوعود السياسية، الوجوه المذلولة بسبب احتقار ثقافاتها، الوجوه المذعورة من العنف اليومي والأعمى، وجوه الشباب المعذّبة، وجوه النساء المكلومة والمحقّرة، وجوه المهجرين

[180] القديس أوغسطينوس، العظة 78، 6: الآباء اللاتين 38، 492.

الذين أُغلقت في وجوههم الأبواب، وجوه المسنّين المحرومين أدنى شروط الحياة اللائقة[181]. هكذا تعرب الحياة المكرّسة، بلغة الأعمال، عن أن المحبة الإلهية هي أساس الحب المجاني ونبضه الناشط. كان القديس منصور دي بول مقتنعاً من هذا كل الاقتناع عندما رسم لبنات المحبة هذا البرنامج الحياتي: "إن روح الجمعية قوامه تقدمة الذات لله لكي نحبّ ربّنا ونخدمه في شخص الفقراء جسدياً وروحياً، في بيوتهم أو خارج بيوتهم، ولكي نعلّم الفتيات المخْدمات والأولاد، وبعامة كل الذين توفدهم إليكنَّ العناية الإلهية"[182].

من بين مختلف القطاعات التي تمارَس فيها المحبة، ثمة قطاع يتجلّى فيه للعالم، بطريقة فريدة، "الحب الأقصى"؛ وهو، بلا مراء، في زماننا، عمل البشرى اللاهبة بيسوع المسيح لمن لا يعرفونه حتى الآن، والذين نسوه، وللفقراء بالأولوية.

ما نقوم به في الحياة المكرّسة من مساهمة مميّزة في عمل البشارة

76- من المهمات المميّزة المسندة إلى الأشخاص المكرّسين، المساهمة في البشارة أولاً بشهادة حياة موقوفة كلها لله ولإخوتهم، وذلك تشبهاً بالمخلّص الذي صار عبداً حبّاً بالبشر. ففي عمل الخلاص كل شيء ينبثق من المشاركة في المحبة الإلهية. الأشخاص المكرّسون، بتكرّسهم وتقدمة حياتهم كاملة، يظهرون للعيان، بطريقة مرئية، حضور المسيح المحبّ والمخلّص الذي كرّسه الآب وأرسله إلى العالم[183]. فإذا استولى عليهم المسيح (فيل 12/3) فلسوف يحققون، بطريقة ما استمراريَّته البشرية[184]. الحياة المكرّسة تبرهن، بطريقة بليغة، أن الشخص المكرّس، بمقدار ما يحيا في المسيح، بوسعه أن يخدمه في الآخرين، منطلقاً إلى المواقع المتقدمة من الرسالة وغير هيّابٍ لأعظم الأخطار والمحاذير[185].

البشارة الأولى: المناداة بالمسيح بين الأمم

77- عندما نُحبُّ الله، أبا الجميع، لا نملك إلا أن نحب الآخرين أيضاً، ونتوسّم فيهم إخوة لنا وأخوات. فإذا تبيّن لنا أن الكثيرين منهم لا يعرفون ملء تجلّي حبّ الله في المسيح، لا يسوغ لنا أن نبقى في اللامبالاة. من هنا تنبع الانطلاقة الرسالية **إلى الأمم** التي يجب على كل مسيحي واعٍ ومطيع لأمر المسيح أن يشترك فيها مع الكنيسة الرسولية

---

181 الجمعية العمومية الرابعة لمجلس أساقفة أميركا اللاتينية، البشارة الجديدة، رقي إنساني وثقافة إنسانية، الخاتمة، رقم 178، سيلام (1992).

182 رسائل، أحاديث، وثائق، محاضرة في "روح الجمعية": (9 شباط 1653)، منشورات كوست 9، باريس (1923)، ص 592.

183 مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، عناصر جوهرية من تعليم الكنيسة في الحياة المكرّسة (31 أيار 1983)، فقرة 23-24: الوثائق الكاثوليكية 80 (1983)، ص 892-893.

184 الطوباوية اليصابات أمة الثالوث، يا إلهي، الثالوث الذي أعبد: الآثار الكاملة، باريس 1991، ص 199-200.

185 بولس السادس، بشرى الإنجيل (8 كانون الأول 1975) فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 68 (1976) ص 59.

من طبيعتها. هذه الانطلاقة يضطلع بها خصوصاً أعضاء مؤسسات الحياة التأملية والحياة العملية[186]. الأشخاص المكرّسون عليهم مسؤولية استحضار المسيح العفيف والفقير والمطيع والمصلّي والرسول[187]، حتى بين الشعوب اللامسيحية[188]. فإذا رسخوا في الأمانة لموهبتهم، بقوة تكرّسهم الحميم لله[189]، فلا يسعهم إلا أن يلتزموا التزاماً خاصاً المشاركة في عمل الكنيسة الرسالي. هذه النَزعة الرسالية المتوثبة التي تميّز الحياة المكرّسة وتؤلّقها، نلمسها عند عدد لا يحصى من القديسين: نتذكر مثلاً الرغبة التي أفصحت عنها مراراً تريزيا الليزيويّة: "أود أحبك وأجعلك محبوباً"، وأمنية القديس فرنسيس كسفاريوس اللاهبة: "كثيرون يفكرّون بالحساب الذي يجب أن يُؤدّوه لربنا وبماذا فعلوا بالوزنات التي نالوها منه، فيكبُّون، بمختلف الوسائل والتمارين الروحية، على معرفة إرادة الله الإصغاء إليه في قرارة نفوسهم. فليتقيّدوا بهما، وليُقلِعوا عن نزواتهم، وليهتفوا: "هاءنذا، يا رب، ماذا تريد أن تصنع بي؟ أرسلني حيث تشاء"[190].

حاضرون في كل بقعة من الأرض

78- "محبة المسيح تحثّنا" (2 قور 14/5): هذه العبارة يجب على أعضاء كل مؤسسة أن يردّدوها مع الرسول، لأن الحياة المكرّسة مهمتها العملُ في كل موقع من الأرض على توطيد ملك المسيح وتوسيعه، والمناداة بالإنجيل في كل مكان، حتى في أقاصي الأرض[191]. والواقع أن تاريخ الرسالة يشهد لما قدمته تلك المؤسسات من مساهمة جلّى في تبشير الشعوب. ففي الأسَر الرهبانية القديمة كما في المؤسسات الحديثة المتجنّدة حصراً لأعمال الرسالة **إلى الأمم**، وفي مؤسسات الحياة العمليّة كما في المؤسسات التأملية[192]، نجد أشخاصاً لا عدّ لهم بذلوا ذواتهم "لهذا العمل الأولوي في الكنيسة، وهو عمل جوهري لا نهاية له"[193]، لأنه يتوجه إلى من لا يعرفون المسيح، وهم جمهور غفير يتضخم يوماً بعد يوم.

---

186 التوصية 37، أ.

187 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 46؛ بولس السادس، بشرى الإنجيل (8 كانون الأول 1975)، فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 68 (1976)، ص 59.

188 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 44؛ 46.

189 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **إلى الأمم**، فقرة 18؛ 40.

190 رسالة إلى رفاقه في روما (كوشن، 15 كانون الثاني 1544): الشواهد التاريخية لجمعية يسوع 67 (1944) ص 166-167.

191 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 44.

192 يوحنا بولس الثاني، **رسالة الفادي** (7 كانون الأول 1990)، فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 83 (1991)، ص 317-318؛ التعليم الديني في الكنيسة الكاثوليكية، فقرة 927.

193 المرجع ذاته، فقرة 31: الموضع المشار إليه، ص 277.

هذا الواجب لا يزال يُلزم بإلحاح، حتى اليوم، مؤسَّسات الحياة المكرّسة وجمعيات الحياة الرسولية. إن ما تنتظره الكنيسة من هذه المؤسسات أن تجنّد كل طاقاتها للمناداة بإنجيل المسيح، وأما المؤسسات الناشئة حديثاً أو الناشطة في الكنائس الفتيّة فهي مدعوّة إلى الانفتاح على الرسالة بين غير المسيحيين داخل أوطانها أو خارجها. وبالرغم من المصاعب المفهومة التي قد يواجهها بعض هذه المؤسسات، فمن المفيد أن نذكّر الجميع بأن "الإيمان يتوطد عندما نعطيه"[194]، وأن الرسالة، من ثم، تُرسِّخ الحياة المكرّسة وتزوّدها بنفحة جديدة وحوافز جديدة، وتناشدها الأمانة. والعمل الرسالي، من جهته، يفسح مجالاً واسعاً لمختلف أنماط الحياة المكرّسة.

عمل الرسالة **بين الأمم** يفسح للنساء المكرّسات والرهبات والأخوة وأعضاء المؤسسات العلمانية مجالات مميّزة لممارسة العمل الرسولي. هذه المؤسسات العلمانية، بوجودها في مختلف نطاقات الدعوة العلمانية، بوسعها أن تؤدّي مساهمة نفسية في حمل الإنجيل إلى الأوساط والبنى وحتى القوانين التي تنظّم الحياة في المجتمع. وبإمكانها، علاوة على ذلك، أن تشهد للقيم الإنجيلية تجاه أشخاص لا يعرفون المسيح بعد، وتؤدي بذلك قسطها المميّز في عمل الرسالة.

لا بدّ من الإشارة إلى أن وجود الحياة المكرّسة في البلاد التي تتجذّر فيها ديانات غير مسيحية، له أهمية خارقة، سواء بالأعمال التربوية والإنسانية والثقافية، أم بشهادة الحياة التأملية. في الكنائس الحديثة، لا بدّ إذن من أن نشجّع تأسيس جماعات تواظب على التأمل، نظراً إلى أن "الحياة التأملية مرتبطة بملء حضور الكنيسة"[195]. ثم إنه من الضروري أن نعزّز، بأساليب مؤاتية، العمل على إقامة التوازن في توزيع الحياة المكرّسة في مختلف أنماطها، وذلك لبعث انطلاقة جديدة في عمل البشارة، إما بإيفاد مرسلين رجالاً ونساءً، وإما بالدعم الذي يجب على مؤسسات الحياة المكرّسة أن تؤديه للأبرشيات الفقيرة[196].

المناداة بالمسيح والتكيّف الثقافي

79- المناداة بالمسيح تحتلّ دائماً مركز الأولويّة في رسالة الكنيسة[197]، وتهدف إلى الإرتداد، أي إلى اعتناق المسيح والإنجيل اعتناقاً كاملاً ومخلصاً[198]. إن مسعى التكييف الثقافي والحوار بين الأديان يدخلان أيضاً في اطار العمل

---

194 المرجع ذاته، فقرة 2: الموضع المشار إليه، ص 251.

195 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **إلى الأمم**، فقرة 18؛ يوحنا بولس الثاني، **رسالة الفادي** (7 كانون الأول 1990)، فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 83 (1991)، ص 317-318.

196 التوصية 38.

197 يوحنا بولس الثاني، **رسالة الفادي** (7 كانون الأول 1990)، فقرة 44: أعمال الكرسي الرسولي 83 (1991)، ص 290.

الرسولي. فالأشخاص المكرّسون يتلقّون من واجب التكيّف الثقافي شبه نداءٍ إلى التعاون المثمر مع النعمة، في التواصل مع مختلف الثقافات. وهذا يفترض، عند المرسل، استعداداً جدّياً ومواهب تمييز راهنة وأمانة راسخة لمقاييس السلامة في المعتقد والشركة الكنسية الصحيحة[199]. هناك أشخاص مكرّسون كثيرون تمكّنوا، بدعم من موهبة مؤسِّسيهم ومؤسِّساتهم، من أن يلتقوا مختلف الثقافات، على غرار يسوع "الذي تجرّد من ذاته متّخذاً صورة العبد" (فيل 7/2)، ومن أن يقيموا علاقات مفيدة مع مختلف الشعوب، بفضل حوارٍ صابر وجريء، ويعلنوا للجميع طريق الخلاص. وحتى في أيامنا نجد جمهوراً من الباحثين الذين يعثرون، في تاريخ الأفراد وشعوبٍ برمّتها، على آثار حضور إلهيّ يدفع بالبشرية كلها إلى استكشاف آيات إرادته الفادية. هذا البحث تَثْبُتُ فائدته للأشخاص المكرّسين أنفسهم: ولا بدع، فالقيم التي يكتشفونها في مختلف الحضارات تدفع بهم إلى ترسيخ التزامهم حياةَ التأمل والصلاة، وإلى تجديد ممارستهم للحياة الجماعية المشتركة وللضيافة، وتحثيث رعايتهم للأشخاص واحترامهم للطبيعة.

للوصول إلى التكيّف الثقافي الحقيقي، لا بدّ من التمثّل بالرب الذي تأنَّس وحلّ في ما بيننا حلول حبّ وتواضع. من هذا القبيل، تُؤهِّل الحياة المكرّسة الأشخاص تأهيلاً خاصاً لمواجهة الجهد المعقّد الذي يستلزمه عملُ التكييف الثقافي، وذلك بأن هذا العمل يعوّدهم التجرّد في الأشياء المادية وحتى من ملامح كثيرة في ثقافتهم الخاصة. فإذا أكبَّ الأشخاص المكرّسون، بمثل هذه المواقف، على درس الثقافات وفهمها، فسوف يتمكّنون من تمحيص القيم الحقيقية، وكيفية قبولها وإكمالها بمساعدة موهبتهم الخاصة[200]. وفي كل حال، يجب ألاّ يفوتَنا أن المعنى الديني، في كثير من الثقافات القديمة، هو من عمق التجذّر، بحيث يمثّل الدين غالباً ذروة الثقافة وبعدها الأسمى. في هذه الحال يفترضُ التطبيعُ الثقافي حتماً حواراً بين الأديان، "لا يعارض الرسالة بين الأمم" "ولا يعفي من عمل البشارة"[201].

التكييف الثقافي في الحياة المكرّسة

80- بإمكان الحياة المكرّسة، من جهتها، بما تحمله من قيمٍ إنجيلية، وحيثما تُمارَس بطريقة صحيحة، أن تساهم بطريقة فريدة في مواجهة تحدّيات التكييف الثقافي. ولا بدع، فهي بمثابة علامة أولويّة الله والملكوت، وبإمكانها أن تثير، في الحوار، تحدّياً يزعزع ضمير البشر. فإذا استطاعت الحياة المكرّسة أن تصون قوتها النبوية، أضحت خميرة إنجيلية، داخل الثقافة، قادرة على تنقيتها وتطويرها. وهذا ما يتبيّن من تاريخ جمٍّ من القديسين والقديسات الذين

---

198 المرجع نفسه، فقرة 46: الموضع المشار إليه، ص، 292.

199 المرجع ذاته، فقرة 52-54: أعمال الكرسي الرسولي 83 (1991) ص 299-302.

200 التوصية 40، أ.

201 يوحنا بولس الثاني، **رسالة الفادي** (7 كانون الأول 1990)، فقرة 55: أعمل الكرسي الرسولي 83 (1991)، ص 302؛ أمانة السر الحبرية للحوار بين الأديان ومجمع تبشير الشعوب، حوار وبشارة (19 أيار 1991) فقرة 45-46: أعمال الكرسي الرسولي 84 (1992) ص 429-430.

عرفوا، في عصور مختلفة، أن يغوصوا في زمانهم، فما غرقوا بل ارشدوا أبناء جيلهم إلى دروب جديدة. كلُّ نمط حياة إنجيلية هو مصدر وحي على جانب من الأهمية، لصوغ نموذج ثقافي جديد. ولكم هناك من المؤسِّسين والمؤسِّسات الذين تقبّلوا بعض مقتضيات عصرهم، ولكنهم اعترفوا بكل حدودها وشوائبها، فأدّوا لها جواباً أصبح صيغةً من صيغ التجدّد الثقافي.

والواقع أن جماعات المؤسَّسات الرهبانية وجمعيات الحياة الرسولية بوسعها أن تقدم، بطريقة عملية، مقترحات ثقافية قيّمة، عندما تؤدّي الشهادة لطريقتهم الإنجيلية في عيش التلاقي في التنوّع، وممارسة السلطة وتقاسم الأرزاق الماديّة والخيور الروحيّة، والتعايش الدولي، والتعاون بين الرهبانيات، والإصغاء إلى رجال ونساء عصرنا. طريقة التفكير والتصرف عند من يتبع المسيح عن كثب تخلق، بدون شك، **ثقافة حقيقية يُرجَع إليها**، وتساعد في التنديد بما ينافي الإنسانية وتشهد بأن الله وحده يحصّن القيم ويُكمِّلها. التكيّف الثقافي، من جهته، يساعد هو أيضاً الأشخاص المكرّسين في أن يعيشوا المطلقيّة الإنجيلية وفقاً لموهبة مؤسَّستهم وعبقرية الشعب الذي يتصلون به. هذه العلاقة المثمرة تخلق أنماط عيشٍ وأساليب رعاية تُثري المؤسَّسة كلها إذا اتضح انسجامها مع موهبة التأسيس وعمل الروح القدس الموحِّد. الكرسي المقدّس هو الذي يضفي على هذا السياق المبنيّ على الدراية والجرأة، على الحوار والتحدّي الإنجيلي، ضمانة الاستمرار في الطريق الصحيح، وهو المرجع في تشجيع أنْجَلَةِ الثقافات، والمصادقة على تطوراتها والموافقة على نتائجها، حرصاً على سلامة التكيّف الثقافي[202]. فالمهمة "صعبة ودقيقة، لأنها تمسّ أمانة الكنيسة للإنجيل وللتقليد الرسولي في استمرارية التطوّر الثقافي"[203].

البشارة الجديدة

81- في سبيل مواجهة فعّالة للتحدّيات الكبرى التي يجابه بها التاريخ المعاصر البشارة الجديدة، لا بدّ، قبل كل شيء، من أن تنصتَ الحياةُ المكرّسة لنداءات الكلام الموحي ولعلامات الأزمنة[204]. ذكرى عظماء المبشِّرين والمبشِّرات، الذين كانوا أولاً من عظماء المبشَّرين، تُبيّن لنا أنه لا بدّ من أشخاص عاكفين على محبة الرب وإنجيله، لمخاطبة العالم المعاصر. "الأشخاص المكرّسون، بفعل دعوتهم المميّزة، مدعوّون إلى إقامة الوحدة بين قداستهم الإنجيلية

202 التوصية 40، ب.

203 يوحنا بولس الثاني، ارشاد رسولي **الكنيسة في افريقيا**، فقرة 62: الوثائق الكاثوليكية 92 (1995)، ص 832.

204 بولس السادس، **المناداة بالإنجيل** (8 كانون الأول 1975)، فقرة 15: أعمال الكرسي الرسولي 68 (1976) ص 13-15.

وشهادة سيرتهم، بين التجدّد الباطن والتجدّد الرسولي، بين الكينونة والتصرّف، فيتضح أن الدينامية تنبع دائماً من الشق الأول من المعادلة"[205].

البشارة الجديدة، كالبشارة في كل وقت، لا تكون فاعلة إلاّ إذا أعلنت على السطوح ما نكون قد عشناه في ألفة الرب. إنها تفتقر إلى إلى شخصيات راسخة تنعشها حرارة القديسين. البشارة الجديدة تقتضي من الأشخاص المكرّسين **وعياً كاملاً لتحديات عصرنا في مفهومها اللاهوتي**. هذه التحدّيات يجب أن نحلّلها تحليلاً دقيقاً يصحبه تمحيص مشترك، في سبيل تجديد الرسالة. ولا بدّ من أن نتحلّى بالجرأة في المناداة بالرب يسوع، وبالثقة بعمل العناية الإلهية التي تعمل في العالم، والتي تدبّر كل شيء لصالح الكنيسة، حتى الأحداث المعاكسة"[206].

من العناصر الهامة التي تتيح للمؤسسات الاندماج المثمر في مسعى البشارة الجديدة، نذكر الأمانة لموهبة التأسيس والشركة مع المتطوّعين في الكنيسة لخدمة القضية الواحدة وبخاصة الرعاة، والتعاون بين جميع ذوي النوايا الطيبة. وهذا يقتضي تمييزاً جدّياً للنداءات التي يوجهها الروح إلى كل مؤسسة، في المناطق التي لا يُرتقب فيها تطورات هامة في المدى القريب، كما في المناطق التي تلوح فيها بوادر نهضة مشجّعة. على الأشخاص المكرّسين أن ينادوا بحرارة، في كل مكان وكل حال، بالرب يسوع، وليكونوا مستعدّين للإجابة، بحكمة الإنجيل، على الأسئلة التي يطرحها اليوم عليهم قلقُ القلب البشري وحاجاتُه الملحّة.

الكرازة للفقراء وتنمية العدالة

82- لقد أعلن يسوع، في مطلع رسالته، في مجمع الناصرة، أن الروح قد مسحهُ ليبشّرَ الفقراء ويعلنَ للمأسورين تخليةَ سبيلهم وللعميان عودةَ البصر إليهم ويفرجَ عن المظلومين ويعلنَ سنةَ قبولٍ عند الرب (لو 4/16-19). الكنيسة التي تتبنى رسالة الرب تنادي بالإنجيل لكل رجل وكل امرأة، وتلتزم السعي في سبيل خلاصهما الكامل. بيد أن الكنيسة لها لفتة خاصة و"إيثار حقيقي" ل**من هم في حالة الضعف الفادح الفاقة المدقعة**. الفقراء، في مختلف وجوه الفقر، هم المظلومون والمهمّشون والمسنّون والمرضى والصغار وكل الذين يُحسَبون ويعاملون "كرذالة المجتمع".

إيثار الفقراء يندمج في منطق المحبة التي نعيشها بحسب المسيح. على تلاميذ المسيح جميعاً أن يتبنّوا هذا الإيثار، ولكن الذين يرومون اتّباع الرب عن كثب والتشبه بسيرته لا يسعهم إلاّ أن يتبنّوا هذا الخيار بطريقة خاصة. خلوص استجابتهم لمحبة المسيح يقودهم إلى أن يعيشوا فقراء ويعتنقوا قضية الفقراء. ويفترض ذلك، في كل مؤسسة

---

205 سينودس الأساقفة، الجمعية العمومية العادية التاسعة، بيان ما قبل المناقشة، فقرة 22: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 951.

206 يوحنا الثالث والعشرون، خطاب افتتاح المجمع الفاتيكاني الثاني (11 تشرين الأول 1962): أعمال الكرسي الرسولي 54 (1962) ، ص 789.

وطبقاً لموهبتها المميّزة، **انتحال نمط حياة، فردي وجماعي**، في التواضع والتقشف. فإذا تقوّى الأشخاص المكرّسون بشهادة حياتهم، أصبح بإمكانهم، بطريقة تنسجم مع نمط تكرّسهم ومع الحفاظ على استقلالهم تجاه التيارات السياسية، أن يندّدوا بالمظالم المرتكبة في حق الكثيرين من أبناء وبنات الله، ويسعوا لتعزيز العدالة في القطاع الاجتماعي الذي يعملون فيه[207]. هكذا، حتى في الظروف الراهنة، وبشهادة عدد لا يُحصى من الأشخاص المكرّسين، سَتَتَجَدَّد تضحيات المؤسِّسين والمؤسِّسات الذين بذلوا حياتهم لخدمة الرب الماثل في الفقراء. ولا عجب، "فالمسيح ههنا فقير في الفقراء [...] إنه غنيّ بصفته إلهاً، ولكنه فقير بصفته إنساناً. هو نفس الإنسان الذي صعد إلى السماء غنياً وجلس إلى يمين الآب، والذي مكث ههنا فقيراً في الفقير الجائع والعطشان والعريان"[208].

يصبح الإنجيل فاعلاً بالمحبة التي هي مجد الكنيسة ودليل أمانتها للرب. وهذا ما يتضح من كل تاريخ الحياة المكرّسة التي يمكن اعتبارها تفسيراً حياً لكلام يسوع: "كلما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه" (متى 40/25). لقد نشأَتْ مؤسسات كثيرة، وبخاصة في الحقبة الحديثة، لتلّبي هذه أو تلك من حاجات الفقراء. وحتى عندما لم تكن هذه الغاية حاسمة، فالتنبه والاهتمام للمحرومين، وتجسيدهما في الصلاة والحفاوة والضيافة، كانا دائماً ماثلين في مختلف أنماط الحياة المكرّسة، بما فيها الحياة التأمّلية. وكيف يمكن أن تكون الحال خلافاً لذلك المنوال، في حين أن المسيح الذي نتأمله في الصلاة هو ذاته الذي يحيا ويتألم في الفقير؟ تاريخ الحياة المكرّسة، من هذا الملحظ، غنيٌّ بأمثال رائعة وعبقرية أحياناً. فالقديس بولان دي نول، الذي كان قد وزّع ثروته على الفقراء، ليتفرغ لله كلياً، أمر ببناء صوامع ديره فوق مأوىً مجهّز للمعوزين، وكان يجذل لفكرة هذا "التبادل الفريد في المواهب": فالفقراء الذين كان يسعفهم كانوا يثبّتون بصلاتهم "مؤسسات" ديره الموقوف كلياً لتمجيد الله[209]. وكان القديس منصور دي بول، من جهته، يردّد القول إنه إذا اضُطرَّ أحدهم أن يقطع صلاته لينجد فقيراً محتاجاً، فهو في الحقيقة لا يقطعها لأنه "يترك الله ليلقى الله"[210].

خدمة الفقراء، في نظر الحياة المكرّسة، هي عمل بشارة وهي في الوقت نفسه ترسيخ الأمانة للإنجيل، ودعوة إلى التوبة الدائمة، وذلك لأن المحبة، على حدّ قول القديس غريغوريوس الكبير، تنطلق نحو الذرى انطلاقة مذهلة كل مرة تنحدر نحو القريب البائس. وبمقدار ما تنحني بحبٍّ على مواطن الضعف تستعيد عزمَ انطلاقتها نحو القمم[211].

---

207 التوصية 18.

208 القديس أوغسطينوس، العظة 123، 3-4: الآباء اللاتين 38، 685-686.

209 النشيد 21، 386-394: الآباء اللاتين 61، 587.

210 مراسلات، محادثات، وثائق. حديث "حول الفرائض" (30 أيار 1647)، منشورات كوست 9، باريس (1923)، ص 319.

211 الفريضة الراعوية 2، 5: المصادر المسيحية 381، ص 201.

العناية بالمرضى

83- هناك عدد غفير من الأشخاص المكرّسين، ولا سيما النساء، الذين يمارسون رسالتهم، بحسب تقليد مجيد، في الأوساط الصحية، وفقاً لموهبة مؤسستهم. ولقد هبّ، عبر القرون، جمهور من الأشخاص المكرّسين الذين **ضحَّوا بحياتهم** في خدمة ضحايا الأمراض المعدية، وبيّنوا بذلك أن تقدمة الذات حتى البطولة هي جزءٌ لا يتجزأ من الطابع النبوي في الحياة المكرّسة.

إن الكنيسة تنظر بإعجاب وامتنان إلى جماهير الأشخاص المكرّسين الذين يسعفون المرضى والمتألمين ويساهمون بذلك في رسالتها مساهمة بليغة. هؤلاء يواصلون خدمة رحمة المسيح الذي "مضى من مكان إلى مكان يعمل الخير ويجري الأشفية" (رسل 38/10). فليقتفِ الأشخاص المكرّسون خطى السامريّ الإلهي، طيب النفوس والأجساد [212]، وليقتدوا بمؤسِّسيهم ومؤسِّساتهم، وليواظبوا على أداء شهادة للسقماء الذين تحرّروا لخدمتهم بداعي موهبة مؤسَّستهم، وليهبوا لهم أنفسهم بتفهّم عميق وبمشاركتهم آلامهم! وليخصّوا بخياراتهم أكثر الناس فقراً وانتباذاً، كالمسنين والمعوقين والمهمشين والمرضى المدنفين، وضحايا الإدمان والأمراض المعدية الجديدة. وليساعدوا المرضى في تقديم عذابهم بالاشتراك مع المسيح المصلوب والممجّد لأجل خلاص الجميع[213]. ولا ينفكّوا يعلّقون أنهم، بالصلاة وشهادة الكلام والسيرة، **أصحاب مسؤولية رعائية ناشطة** بفضل ما يملكونه من موهبة خاصة نابعة من الصليب[214].

وتذكّر الكنيسة الأشخاص المكّرسين، بالإضافة إلى ذلك، أن من مقوّمات رسالتهم **أن يبشّروا الأوساط الصحية** التي يعملون فيها، وينوّروا أهل عصرنا بتعميم القيم الإنجيلية، ويعلّموهم كيف يعيشون وكيف يتألمون وكيف يموتون. إنه من واجبهم أن يبذلوا وسعهم في أنسنة الطب والتعمق في مناقبية العلوم البيولوجية، خدمةً لإنجيل الحياة. وليسعوا إذن أولاً إلى تعزيز حرمة الشخص والحياة البشرية منذ نشأتها حتى نهايتها الطبيعية، وذلك بملء التطابق مع تعليم الكنيسة الأولى[215]، وبالعمل على إقامة مراكز تنشئة[216]، وبالتعاون الأخوي مع الأجهزة الكنسية للرعاية الصحية.

2- شهادة نبوية تجاه التحدّيات الكبرى

---

212 يوحنا بولس الثاني، **الألم الخلاصي** (11 شباط 1984) فقرة 28-30: أعمال الكرسي الرسولي 76 (1984) ص 242-248.

213 المرجع نفسه، فقرة 18، المرجع المشار إليه، ص 221-224؛ يوحنا بولس الثاني، **العلمانيون المؤمنون بالمسيح** (30 كانون الأول 1988)، فقرة 52-53: أعمال الكرسي الرسولي 81 (1989)، ص 496-500.

214 يوحنا بولس الثاني، **أعطيكم رعاة** (25 آذار 1992)، فقرة 77: أعمال الكرسي الرسولي 84 (1992)، ص 794-795.

215 يوحنا بولس الثاني، **إنجيل الحياة** (25 آذار 1995)، فقرة 78-101: أعمال الكرسي الرسولي 87، (1995)، ص 490-518.

216 التوصية 43.

نبويّة الحياة المكرّسة

84- لقد نوّه الآباء السينودسيون تنويهاً شديداً بالطابع النبوي في الحياة المكرّسة، وهو بمثابة شكل مميز في **المشاركة في وظيفة المسيح النبويّة**، يورّثه الروح شعبَ الله برمّته. هذا الطابع النبوي هو من مقوّمات الحياة المكرّسة في ذاتها، وذلك بأنه يدعو إلى التطوّع الجذري **في اتباع المسيح**، والتجنّد من ثَمَّ للرسالة التي تميّزها. إن الوظيفة الإيمائية التي أقرّها المجمع الفاتيكاني الثاني للحياة المكرّسة[217] تتجسّم في الشهادة النبوية لأولوية الله وقيم الإنجيل في الحياة المسيحية. من منطلق هذه الأولوية لا يمكن أن نؤثر شيئاً على محبتنا الشخصية للمسيح وللفقراء الذين يحيا فيهم[218].

لقد توسّم التقليد الآبائي، في شخص إيليا النبي الشجاع وأليف الله، رمزاً للحياة الرهبانية التوحّدية[219]. كان إيليا يعيش في حضرة الله ويتأمل مروره في الصمت ويشفع للشعب وينادي بإرادة الله بجرأة، ويجاهد في سبيل حقوقه تعالى، وينتصب للدفاع عن الفقراء في وجه مقتدري العالم (1 مل 18-19). لقد قام دائماً، في تاريخ الكنيسة، رجال ونساء مكرّسون لله، استطاعوا بنعمة خاصة من الروح، أن يمارسوا خدمة نبوية حقيقية، ويخاطبوا الجميع، بمن فيهم رعاة الكنيسة، باسمه تعالى. **النبّوة الحقيقية تولد من الله**، من الألفة معه، والإصغاء المتيقظ لكلامه في مختلف مراحل التاريخ. النبي يوجس في قلبه ضرام الشغف بقداسة الله، وعندما يتلقّى كلامه في حوار الصلاة، ينادي به عبر حياته وشفتيه وأفعاله ويجعل نفسه نذير الله ضد الشر والخطيئة. الشهادة النبوية تتطلب بحثاً متواصلاً ومتوقداً عن إرادة الله وشركةً كنسية ملزمة وسخيّة وممارسة التمييز الروحي والشغف بالحقيقة. وتتحق الشهادة النبويّة أيضاً بالتنديد بما ينافي الإرادة الإلهية وباستجلاء الطرق الحديثة لتطبيق الإنجيل في التاريخ، من أجل ملكوت الله[220].

أهمية النبَّوة في العالم المعاصر

85- عالمنا الذي أوشكت أن تندثر فيه معالم الله، يشعر بمساس الحاجة إلى شهادة نبويّة قويّة يؤديها الأشخاص المكرّسون. هذه الشهادة تتوخّى أولاً **تأكيد أولوية الله والخيرات الآتية**، كما تتجلّى في **اتباع المسيح** والاقتداء به عفيفاً وفقيراً ومطيعاً ومكرّساً كلياً لمجد أبيه ومحبة إخوته وأخواته. الحياة الأخوية نفسها هي **نبوءة مجسّدة** في مجتمع

---

217 **نور الأمم**، فقرة 44.

218 يوحنا بولس الثاني، عظة في الحفلة الختامية للجمعية العادية التاسعة لسينودس الأساقفة (29 تشرين الأول 1994)، فقرة 3: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 580.

219 القديس أثناسيوس، سيرة القديس أنطونيوس، 7: الآباء اليونان 26، 854.

220 التوصية 29، أ.

يتوق توقاً عميقاً، وأحياناً بطريقة مضمرة، إلى أخوّةٍ بلا حدود. الأشخاص المكرّسون، بقوة أمانتهم لموهبتهم، يؤدون في كل مكان شهادة حياتهم بصراحة الأنبياء الذين لا يهابون المضيّ في رسالتهم إلى حدّ المجازفة بحياتهم.

التناسق القائم بين البشارة والسيرة يضفي على النبوّة قوة إقناع خاصة. بإمكان الأشخاص المكرّسين أن يستمروا في الأمانة لرسالتهم في الكنيسة وفي العالم، إذا تمكنوا من محاسبة ذواتهم دائماً في ضوء كلام الله[221]. هكذا يصبح بإمكانهم أن ينقلوا إلى المؤمنين الآخرين ثروة المواهب التي نالوها، ويتلقّوا بدورهم المناشدات النبويّة الصادرة من الأطراف الكنسية الأخرى. في هذا العطاء المتبادل **المثبّت بملء موافقة السلطة والنظام الكنسي** يتجلّى ببهاء عمل الروح الذي "يوّحد [الكنيسة] في الشركة والخدمة، ويرفدها بمواهب متنوعة، إيررخيّة ومواهبية، ويرشدها بفضل هذه المواهب"[222].

أمانة حتى الاستشهاد

86- في هذا العصر، كما في الحقب السالفة من التاريخ، قام رجال ونساء مكرّسون يؤدّون الشهادة للمسيح الرب، **بتقدمة حياتهم**. إنهم يُعدّون بالآلاف أولئك الذين أُرغموا على اللجوء إلى الديناميس، بسبب ما لحقهم من اضطهاد الأنظمة التوتالية أو العصابات الإرهابية، وأعيقوا في نشاطهم الرسالي وعملهم لأجل الفقراء، وإسعافهم للمرضى والهامشيين، وظلوا، مع ذلك، يعيشون تكرّسهم، محتملين الآلام المديدة والبطولية، وسافكين دمهم أحياناً كثيرة، متشبّهين بذلك ملء التشبّه بالرب المصلوب. لقد أثبتت الكنيسة رسمياً قداسة بعضهم، وأكرمتهم إكرام شهداء المسيح. وهم ينيروننا بمَثَلهم ويلتمسون لنا الأمانة بشفاعتهم، وينتظروننا في المجد.

إننا نرغب شديد الرغبة في أن تظل ذكرى هذا الحشد الكبير من شهود الإيمان في وعي الكنيسة كدعوة إلى الاحتفاء والاقتداء بهم. وعلى مؤسسات الحياة المكرّسة وجمعيات الحياة الرسولية أن تساهم في هذا العمل، **فتجمع أسماء وشهادات** كل الأشخاص المكرّسين الذين يمكن أن يسجّلوا في سنكسار شهداء القرن العشرين[223].

الحياة المكرّسة وتحدياتها الكبرى

---

221 التوصية 15، أ و 39 ج.

222 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 4؛ **قرار مجمعي في خدمة الكهنة وحياتهم**، فقرة 2.

223 التوصية 53؛ يوحنا بولس الثاني، **اطلالة الألف الثالث** (10 تشرين الثاني 1994)، فقرة 37: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995)، ص 29-30.

87- المهمة النبوية في الحياة المكرّسة تواجه **ثلاثة تحديّات رئيسة** تمسُّ الكنيسة نفسها؛ إنها تحديات كل زمان يقذفها المجتمع المعاصر في شكلٍ حديثٍ وبمزيدٍ من الجذرية أحياناً، أقله في بعض أجزاء العالم. إنها تتناول مباشرة المشورات الإنجيلية في الفقر والعفة والطاعة وتدفع بالكنيسة، وبالأشخاص المكرّسين خصوصاً، أن يبلوروا **عمق فحواها الأنتروبولوجي**، ويشهدوا لها. اختيار هذه المشورات لا يفقّر القيم الإنسانية الحقيقية، بل بالعكس يؤلّقها. المشورات الإنجيلية يجب ألاّ نحسبَها منافية للقيم الناشبة في الجنس، وللرغبة المشروعة في الامتلاك وفي تقرير وجهة الحياة تقريراً مستقلاً. هذه النوازع الناشبة في الطبيعة هي سليمة في حدّ ذاتها. بيد أن الخليقة البشرية التي أوهنتها الخطيئة الأصلية معرّضةٌ لخطر تطبيقها في ظل المعصية. اعتناق العفة والفقر والطاعة يضحي هكذا نذيراً لئلا يُستَخفَّ بالجروح الناجمة عن الخطيئة الأصلية. وفيما تؤكّد هذه النذور قيمة الخيور المخلوقة، **تؤكّد أيضاً نسبيتها**، مبيّنة أن الله هو الخير المطلق. وهكذا، فيما يسعى متّبعو المشورات الإنجيلية إلى بلوغ القداسة من أجل ذواتهم، يقدّمون للبشرية، نوعاً ما، "علاجاً روحياً"، بدليل أنهم برفضون تأليه الخليقة، ويُظهرون للعيان بطريقة ما، الإله الحيّ. الحياة المكرّسة هي نعمة للحياة البشرية ولحياة الكنيسة نفسها، ولا سيما في الأوقات العصيبة.

العفّة المكرّسة وتحدّياتها

88- أول التحديّات ينجم **عن ثقافة تمتّعيّة** تحلّل الجنس من كل قيد أدبي وموضوعي وتحوّله غالباً إلى ملهاة أو إلى سلعة استهلاكية وتذعن لشكل عن صنميّة الغريزة، بمواطأة وسائل الاتصال الاجتماعي. هذه الحالة الواقعية لها مغبات تقع تحت أبصار الجميع: معاصٍ متنوعة ترافقها آلام نفسانية وأدبيّة تقع على الأفراد وعلى العيل. **جواب** الحياة المكرّسة يقوم أولاً على **ممارسة العفة الكاملة في الفرح**، شهادةً لقدرة محبة الله في هشاشة وضعنا البشري. فالشخص المكرّس يثبت أن ما تحسبه الأكثرية مُحالاً يصبح بنعمة الربّ يسوع ممكناً ومحرّراً حقاً. نعم! إنه من الممكن، في المسيح، أن نحبّ الله من كل قلبنا، ونجعله فوق كل حبّ آخر، ونحب هكذا كل خليقة بحريّة الله. تلك إحدى الشهادات التي أصبحت اليوم ألزم من أي وقت مضى، وذلك بأن العالم قليلاً ما يستوعبها. وهي مهداة لكل إنسان – الشباب، والمخطوبين والأزواج والعيل المسيحية – **للدلالة على أن محبة الله بوسعها أن تصنع عجائب كبرى**، حتى وسط تقلّبات الحب البشري. هذه الشهادة تلبي أيضاً حاجة متنامية إلى الشفافية في العلاقات البشرية.

لا بدّ للحياة المكرّسة من أن تقدّم لعالم اليوم أمثلة عفّة يمارسها رجال ونساء يتحلّون بالتوازن والتماسك والحيوية والنضج النفساني والعاطفي[224]. في هذه الشهادة، يجد الحب البشري مرتكزاً راسخاً. ولأن الشخص المكرّس مستغرق في غمر هذا السرّ، فهو يشعر بأهليَّته لأن يمارس حباً جذرياً وشاملاً، يوليه القدرة على ما لا بدّ منه من

[224] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **المحبة الكاملة**، فقرة 12.

التمالك والانضباط، ليحذر الوقوع في عبوديّة الحواس والغرائز. العفّة المكرّسة تبدو هكذا بمثابة خبرة فرح وحريّة. فإذا استنارت بنور الإيمان بالرب الناهض من بين الأموات وانتظار السموات الجديدة والأرض الجديدة (رؤ 1/21)، فهي تشكّل أيضاً حافزاً ثميناً للتنشئة على العفّة التي لا بدّ منها في أحوالٍ أخرى من الحياة.

الفقر وتحدّياته

89- **ثمة تحدٍّ معاصر آخر ناجم عن نزعة ماديّة إلى التملّك**، لا تبالي حاجات الضعفاء وآلامهم، ولا تملك أي اعتبار لتوازن الثروات الطبيعية. **جواب الحياة** المكرّسة يكمن في **الفقر الإنجيلي** مُمَارَساً طبق أنماط متنوعة ومصحوباً غالباً بالتزامٍ فاعل بتنمية التضامن والمحبة.

لكم هناك من مؤسَّسات دأبها العمل في مجالات التربية والتعليم والتنشئة المهنية، وتأهيل الشباب والأقل شباباً ليصيروا أسياد مصيرهم. ولكم هناك من أشخاص مكرّسين يبذلون قواهم بلا حساب في خدمة المتواضعين في الأرض. وكم منهم يدأبون في إزاحةُ بُنى الظلم، وتنشيط برامج دعم للفقراء. إنهم يكافحون في سبيل التغلب على الجوع وأسبابه، وينعشون النشاطات المجانية والمنظمات الإنسانية، ويحسّسون الأجهزة العامة والخاصة بضرورة العمل على توزيع المساعدات الدولية توزيعاً منصفاً. الأمم مدينة حقاً بالكثير لهؤلاء الرجال والنساء الذين يضطلعون بدور ناشط في خدمة المحبة، والذين ساهموا ولا يزالون يساهمون، بوجه ملحوظ، وبفضل سخائهم، في أنسنة العالم.

الفقر الإنجيلي في خدمة الفقراء

90- الحقيقة **أن الفقر الإنجيلي**، قبل أن يكون وسيلة خدمةٍ للفقراء، **هو قيمة في ذاتها**، لأنه يتصل بالتطويبة الأولى عبر الشبّة بالمسيح الفقير[225]. والواقع أن هدفه الأول أن نشهد لله الذي هو للقلب البشري ثروته الحقيقية. ولهذا، بالتحديد، يتصدّى الفقر لصنمية إله المال "مامون"، ويظهر بمثابة نداء نبوي يتوجه إلى مجتمع أخذ يفقد، في أجزاء كثيرة من عالم الثروة، معنى الاعتدال وقيمة الأشياء نفسها. وهكذا الفقر الإنجيلي أخذ يوقظ، اليوم أكثر من أي

[225] التوصية 18، أ.

يوم مصى، اهتمام الذين بدأوا يدركون حدود ثروات كوكبنا، ويطالبون باحترام الخليقة وصيانتها، وذلك بالتخفيف من حجم الاستهلاك وممارسة القناعة والتزام واجب الحدّ من رغباتهم.

المطلوب إذن من الأشخاص المكرّسين أن يؤدُّوا شهادة إنجيلية مجدّدة وحازمة في التجرّد والقناعة، وذلك باعتناق نمط حياة أخوية موصوفة بالبساطة والضيافة، ولو لم يكن ذلك إلاّ على سبيل المثال للذين لا يأبهون لحاجات قريبهم. هذه الشهادة يجب أن يرافقها، بطبيعة الحال، **إيثار الفقراء بالمحبة**، وتتجلّى، بطريقة مميّزة، بمقاسمة المحرومين ظروف حياتهم. ثمة جماعات كثيرة تعيش وتعمل مع الفقراء والهامشيين، وتتبنى أحوالهم المعيشية، وتقاسمهم آلامهم ومعضلاتهم وأخطارهم.

لقد دُوّنت صفحات جليلة في تاريخ التضامن الإنجيلي والتفاني البطولي، على يد أشخاص مكرّسين، في هذه السنوات الأخيرة، سنوات التحوّلات العميقة والمظالم الفادحة والآمال والخيبات والإنجازات العظيمة والإخفاقات المرّة. وليست بأقل بلاغة الصفحات التي خطّها ولا يزال يخطّها غيرهم من جمهور الأشخاص المكرّسين الذين يعيشون ملء حياتهم "مستترة مع المسيح في الله" (قول 3/3)، لأجل خلاص العالم، وتحت شعار المجانية وتجنيد كل حياتهم في سبيل قضايا، قليلاً ما يعترف العالم بها ويقدّرها. في مثل هذه الأشكال المتنوعة والمتكاملة، تشترك الحياة المكرّسة في الفقر الأقصى الذي تحمّله الرب، وتقوم بدورها المميّز في السرّ الخلاصي، سرّ تجسّد المسيح وموته الفادي[226].

الحريّة الطائعة وتحدياتها

91- **التحدّي الثالث** ينجم عن **مفاهيم الحريّة** التي تعزل هذه المزيّة الإنسانية الجوهرية عن علاقتها الأساسية بالحقيقة والقاعدة الأدبية[227]. والواقع أن الحريّة قيمة حقيقية وثيقة العلاقة باحترام الشخص البشري. ولكن من لا يشهد المظالم الفادحة والتعسفات الرهيبة الناجمة عن الانحراف في استعمال الحريّة في حياة الأفراد والشعوب؟

الطاعة التي تميّز الحياة المكرّسة هي العلاج الناجع لهذه الحالة. وهي تتّخذ نموذجاً لها، بطريقة فعّالة، طاعة المسيح لأبيه، وتنطلق من هذا السر لتبرهن **أن ليس ثمة من تناقض بين الطاعة والحريّة**. ولا بدع، فالمسيح يكشف لنا بمواقفه أن سرّ الحرية البشرية هو سبيل طاعة لإرادة الآب، وأن سرّ الطاعة هو السبيل إلى التقدّم شيئاً فشيئاً نحو امتلاك الحرية الحقيقية. الشخص المكرّس يودّ أن يعرب عن هذا السرّ باعتناق هذا النذر بالتحديد، ويتوخى أن يُعلن بذلك إدراكه للعلاقة البنوية التي تؤهله لقبول الإرادة الأبويّة طعاماً يومياً (يو 34/4)، وصخرة له وفرحاً ودرعاً وملجأ

---

226 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 13.

227 يوحنا بولس الثاني، **تألق الحقيقة** (6 آب 1993)، فقرة 31-35: أعمال الكرسي الرسولي 85 (1993)، ص 1158-1162.

(مز 17/18-3). ويبرهن الشخص المكرّس هكذا أنه ينمو ملء حقيقة كيانه، ويظلّ على اتصال بنبع وجوده، ويُعلن هذا البلاغ المعزّي: "إن الذين يحبون شريعتك لها سلام جزيل وما لهم من معثرة" (مز118(119)/165).

لنعمل معاً بمشيئة الآب

92- هذه الشهادة، من قِبل أشخاص مكرّسين، تكتسي أيضاً مفهوماً خاصاً، **بسبب ما يميّز الحياة الرهبانية من طابع جماعي**. الحياة الأخوية هي المكان المميّز لتمييز إرادة الله وقبولها، وللتقدم معاً في وحدة الروح والقلب. الطاعة المحرِّكة بروح المحبة توحّد أعضاء المؤسسة في أداء الشهادة الواحدة والرسالة الواحدة، مع تنوّع المواهب واحترام كل فرد. بفضل الحياة الأخوية ونفحة الروح فيها، يعقد كل واحد مع الآخرين حواراً مفيداً لاكتشاف إرادة الآب، وكلّهم يؤانسون في المسؤول انعكاس أبوّة الله، وممارسة السلطة التي نالها من الله، والموضوعة في خدمة التمييز والشركة[228].

في الكنيسة وفي المجتمع لا تزال الحياة الجماعية، بطريقة خاصة، هي علامة الرباط الذي يكوّن الإرادة المشتركة ويدفعها إلى الطاعة للنداء الواحد، متخطية كل تنوّعات العرق والمعتقد، واللغة والثقافة. السلطة والطاعة هما، بعكس روح الشقاق والفرقة، علامة نيّرة للأبوّة الواحدة الصادرة عن الله والأخوة النابعة من الروح والحرية الباطنة التي ينعم بها الأشخاص الذين يسلّمون أمرهم لله بالرغم مما يشوع ممثّليه على الأرض من حدود بشرية. من خلال هذه الطاعة التي يرضى بها البعض قاعدة حياة، يمكننا أن نختبرَ الطوبى التي وعدها يسوع للذين "يسمعون كلمة الله ويحفظونها"، (لو 28/11) ونبشر بها لفائدة الجميع. ثم إن المطيع واثق من أنه يمارس الرسالة حقاً، مُتَّبعاً الرب، وغير منقاد لرغباته وأطماعه. وبإمكانه أن يرى نفسه هكذا مقوداً بروح الرب ومدعوماً بيده القوية، حتى في وسط المصاعب الكبيرة (رسل 20/22-24).

التزام راسخ بالحياة الروحية

93- من المشاغل التي تردّد ذكرها في السينودس قضيةُ الحياة المكرّسة **وتزودّها من ينابيع روحانية راسخة وعميقة**. هذا التزود الروحي هو، ولا شك، من أولويات الحياة المكرّسة ومن مقوماتها الجوهرية؛ وذلك بأن معتنق المشورات الإنجيلية مثله مثل كل معمّد آخر، بل لأسباب أخرى أشدّ اضطراراً، ملزم بأن يصبو بكل قواه إلى الكمال في المحبة[229]. وذلك واجبٌ تذكّرنا به بقوة أمثلة لا تُحصى من المؤسِّسات والمؤسِّسين والمؤمنين القديسين، وجمهور غفير من الأشخاص المكرّسين الذين برهنوا عن أمانتهم للمسيح حتى الإستشهاد. النُزوع إلى القداسة: ذاك هو، بوجيز

---

228 التوصية 19، أ؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، المحبة الكاملة، فقرة 14.

229 التوصية 15.

الكلام، برنامج كل حياة مكرّسة، بما في ذلك برنامج تجدّدها، عند عتبة الألف الثالث. منطلق هذا البرنامج قوامه التخلّي عن كل شيء في سبيل المسيح (متى 18/4-22؛ 21/19-27؛ لو 11/8) وإيثاره على كل شيء لمشاركته مشاركة كاملة في سرّه الفصحي.

لقد فهم ذلك القديس بولس عندما هتف قائلاً: "أعدُّ كل شيء خسراناً من أجل الربح الأعظم ألا وهو معرفة ربي [...] ومعرفة قوّة قيامته" (فيل 3/8-10). هذا هو الطريق الذي أوضحه الرسل منذ البدء، على حدّ ما جاء في التقليد المسيحي شرقاً وغرباً. "الذين يتبعون يسوع اليوم، تاركين كل شيء من أجله، يذكّرون بالرسل الذين استجابوا لندائه وزهدوا بكل شيء. عندما يتحدّث التقليد إذن عن الحياة الرهبانية، يتوسّم فيها **نمطاً من أنماط الحياة الرسولية**"[230]. هذا التقليد نفسه قد نوّه أيضاً بما تتميّز به الحياة المكرّسة من طابع ميثاق وحيد مع الله، بل ميثاقٍ عرسي مع المسيح، كما علّم ذلك القديس بولس بمثله (1 قور 7/7) وكرازته بتوجيه من الروح (1قور 40/7).

يسوغ لنا القول أن الحياة الروحية، إذا اعتبرناها حياة في المسيح وحياة بحسب الروح، يمكننا وصفها بأنها مسيرة أمانة متنامية، حيث الشخص المكرّس يتوجه بإلهام الروح ويتصوّر به بصورة المسيح، في ملء شركة المحبة والخدمة في الكنيسة.

هذه العناصر كلها، إذا اندمجت اندماجاً جيداً في مختلق أنماط الحياة المكرّسة ، تكوّن روحانية خاصة، ونهجاً محدّداً في العلاقة بالله وبالمحيط، يتميّز بنفحات روحية وخيارات عملٍ معيّنة تُبرز وتُمثّل ملمحاً من ملامح سرّ المسيح الأوحد. عندما تُثبّت الكنيسة شكلاً من أشكال الحياة المكرّسة أو مؤسسة ما، تؤكّد أن الموهبة الروحية والرسولية تتضمن كل المقوّمات الموضوعية لبلوغ الكمال الإنجيلي الشخصي والجماعي.

الحياة الروحية يجب أن تحتل إذن المقام الأول في المنهاج الذي تضعه عائلات الحياة المكرّسة، بحيث تغدو كل المؤسسات وكل الجماعات مدارسَ روحانية إنجيلية صحيحة. بهذا الخيار الأولوي، ومدى نموّه في الالتزام الشخصي والجماعي، يتعلّق الخصب الرسولي والسخاء في محبة الفقراء والقدرة على إيقاظ دعوات في الأجيال الصاعدة. ولا شك أن الحياة المكرّسة بنوعيتها الروحية تستطيع أن تهزّ أبناء عصرنا المتعطشين هم أيضاً إلى القيم المطلقة، وأن تصبح شهادة جذابة.

الإصغاء إلى كلام الله

[230] يوحنا بولس الثاني، خطاب في الجمعية العمومية (8 شباط 1995)، فقرة 2: الوثائق الفاتيكانية 92 (1995)، ص 255.

94- كلام الله هو أول نبع لكل روحانية مسيحية، فهو يغذّي علاقة شخصية بالإله الحيّ وبإرادته المخلِّصة والمقدِّسة. ولذا **فالقراءة الإلهية**، منذ نشأة مؤسسات الحياة المكرّسة وبخاصة في الحياة التوحدّية، باتت موضوع إجلال عظيم. بفضل هذه القراءة يتغلغل كلام الله في الحياة، ويلقي عليها ضوء الحكمة أي عطيّة الروح. ومع أن الكتاب المقدس كله "مفيد للتعليم" (2 طيم 16/3)، و"للحياة الروحية مَعينٌ صافٍ دائم الجريان"[231]، فأسفار العهد الجديد تستحق إجلالاً خاصاً، ولا سيما الأناجيل التي هي "قلب كل الكتب المقدسة"[232]. من المفيد إذن أن يواظب الأشخاص المكرّسون على تأمل النصوص الإنجيلية وسائر كتب العهد الجديد التي تنقل لنا أقوال المسيح وأمثاله وأقوال العذراء مريم **وطريقة الحياة الرسولية**. وقد كان المؤسِّسون والمؤسِّسات يرجعون دوماً إليها في الاستجابة لدعوتهم وفي تمحيص وموهبة مؤسستهم ورسالتها.

التأمل **الجماعي** في الكتاب المقدس له فائدة كبرى. فإذا مُورِسَ وفقاً لإمكانات حياة الجماعة وظروفها، فهو دعوة إلى فرح المشاركة في الثروات المطوية في كلام الله، والتي بفضلها يتقدّم معاً إخوة وأخوات ويتعاونون في المضي قدماً في دروب الحياة الروحية. ومن المفيد أيضاً أن تُعرض هذه الطريقة على سائر أعضاء شعب الله من الكهنة والعلمانيين وأن تُقام، بطريقة تلائم موهبة المؤسسة، مدارس صلاة وروحانية وقراءة للكتاب المقدس مفعمةٍ بالصلاة "يُخاطب فيها الله جماعة البشر كما يخاطب الأحباء (خر 11/33؛ يو 14/15-15)، ويكون في علاقة معهم (با 38/3)، ويطلب منهم أن يشاركوه في حياته، ويقبلهم في هذه الشركة"[233].

تأمل كلام الله وأسرار المسيح خصوصاً هو الذي يبعث وهج التأمل وحرارة العمل الرسولي. ففي الحياة الرهبانية التأملية، كما في الحياة الرسولية، نجد أن الذين حققوا أعمالاً عظيمة هم دائماً رجال صلاة ونساء صلاة فسّروا كلام الله تفسيراً صحيحاً ووضعوه موضع التنفيذ. لقد تلقوا من مؤالفة كلام الله نوراً استطاعوا معه أن يميّزوا إرادته تعالى، على الصعيد الفردي كما على الصعيد الجماعي، ويلتمسوا طرق الرب خلال علامات الأزمنة. وقد امتلكوا هكذا **شبه حسّ علوي** حرزهم من الانقياد لذهنية العالم، وخوّلهم تجديد عقلهم "ليميّزوا ما هي مشيئة الله، وما هو صالح وما هو مرْضيّ وما هو كامل" (روم 2/12).

الشركة مع المسيح

---

231 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **كلام الله**، فقرة 21؛ **المحبة الكاملة**، فقرة 6.

232 التعليم الديني في الكنيسة الكاثوليكية، فقرة 125؛ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **كلام الله**، فقرة 18.

233 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **كلام الله**، فقرة 2.

95- **الليترجيا المقدّسة** وبخاصة الاحتفال بالافخارستيا وليترجيا الساعات هي، بلا مراء، وسيلة أساسية لمواصلة الشركة حقاً مع الرب.

وقبل كل شيء **الافخارستيا** التي "تحتوي على كنْز الكنيسة الروحي بأجمعه، أي المسيح نفسه فصحنا والخبز الحي الذي يُعطي الحياة للناس بجسده الذي يحييه الروح القدس فيغذو محيياً"[234]. الافخارستيا هي قلب الحياة الكنسية، وهي أيضاً قلب الحياة المكرّسة. عندما يعتنق الإنسان المشورات الإنجيلية، كيف يمكنه، وقد اختار المسيح – الذي فيه وحده يجد معنى لوجوده – كيف يمكنه ألاّ يرغب في أن يقيم معه شركة تزداد عمقاً بمشاركة اليومية في السرّ الذي يستحضر الرب، والذبيحة التي تستحضر عطية حبّه في الجلجلة، والوليمة التي تغذي وتساند شعب الله في طريق حجّه. إن الافخارستيا بطبيعتها، محور الحياة المكرّسة الفردية والجماعية، هي الزاد اليومي وينبوع روحانية الأشخاص والمؤسسات. فيها يُطلب من كل شخص مكرّس أن يعيش سر المسيح الفصحي، ويتحد به في تقدمة حياته للآب بالروح. المواظبة على السجود طويلاً للمسيح الحاضر في الافخارستيا يتيح للشخص المكرّس أن يستعيد، نوعاً ما، خبرة بطرس يوم التجلّي: "حسن لنا أن نبقى ههنا" الاحتفال بسرّ جسد الرب ودمه يثبّت وينشّط الوحدة والمحبة في الذين وقفوا حياتهم لله.

ليترجيا الساعات، إلى جانب الافخارستيا، وفي علاقة وُثقى بها، سواء احتُفِلَ بها جماعياً أم فردياً، وفقاً لطبيعة كل مؤسسة، وفي الشركة مع صلاة الكنيسة، تعبّر عن الدعوة إلى التسبيح والاستشفاع وهي مزيّة الأشخاص المكرّسين.

وفي تناغم عميق مع الإفخارستيا، لا بدّ من الالتزام بالتوبة المتواصلة وبالتنقية اللازمة اللتين يقوم بهما الأشخاص المكرّسون في **سرّ المصالحة**. هؤلاء يطهّرون ويجدّدون قلبهم في لقاء متواتر مع رحمة الله، ويصفّون علاقتهم بالله باتّضاعهم ووعيهم لذنبوهم. في الطريق التي يقطعها الأشخاص المكرّسون برفقة إخوتهم وأخواتهم، ومع خبرة الصفح التي يجدونها في سرّ التوبة، يُسلس قلبهم ويندفعون في طريق أمانة متنامية.

للتقدم في السراط الإنجيلي، وبخاصة في مرحلة التنشئة أو في مراحل أخرى من الحياة، يجد الأشخاص المكرّسون سنداً كبيراً في اللجوء، بثقة وتواضع، إلى **الإرشاد الروحي**، ففيه يلقى الإنسان رفداً لتلبية حوافز الروح تلبية سخية، والتوجه بإرادة مصممّة شطر القداسة.

---

[234] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **خدمة الكهنة وحياتهم**، فقرة 5.

وأحثُّ أخيراً كل الأشخاص المكرّسين، طبقاً لتقاليدهم الخاصة، على أن يجددوا، كل يوم، اتحادهم الروحي بالعذراء المريم، ويستعيدوا معها مسيرة أسرار ابنها، وبخاصة في تلاوة **الوردية المقدسة**.

3- بعض قطاعات الرسالة

دورنا في عالم التربية

96- لقد أيقن الكنيسة دوماً أن التربية هي **عنصر أساسي من عناصر رسالتها**. معلّمها في الداخل هو الروح القدس الذي يخترق قلب الإنسان في أقصى معاقله، ويعرف التاريخ في حركته الخفيّة. الكنيسة كلها، بدفع من الروح، تضطلع معه بالمهمة التربوية. إلاّ أن هناك دوراً خاصاً في الكنيسة، يرجع، في هذا المجال، إلى الأشخاص المكرّسين المدعوّين إلى أن يُدخلوا في حيّز التربية مطلقيّة شهادتهم لكنوز الملكوت المقدّمة لكل إنسان، بانتظار اللقاء النهائي بسيّد التاريخ. الأشخاص المكرّسون بإمكانهم أن يضطلعوا بنشاط تربوي فعّال، ويؤدوا مساهمة مميّزة في المساعي التي ينشط لها غيرهم من المربيّن والمربيات، وذلك بتكرّسهم الخاص وخبرتهم الخاصة لعطايا الروح، ومواظبتهم على الاستماع إلى كلام الله، وممارسة التمييز، وما تجمع لمؤسستهم، عبر الزمان، من تراثٍ مزدهر بالتقاليد التربوية، ومعرفتهم العميقة للشؤون الروحية.

بقوة هذه الموهبة، يمكنهم أن ينشئوا أجهزة تربوية، يداخلها روح الإنجيل، وما يحمله من دعوة إلى الحرية والمحبة، ويجد فيها الشباب ما يساعدهم في نموّهم الإنساني بقيادة الروح[235]. وهكذا تصبح الأسرة التربوية مختبر شركة ومحطّ نعمة، حيث تساهم الخطة التربوية في التوفيق بين ما هو إلهي وما هو بشري، بين الإنجيل والثقافة، بين الإيمان والحياة، في بوتقة متناغمة.

تاريخ الكنيسة منذ القِدم وحتى اليوم، حافلٌ بنماذج رائعة من أشخاصٍ مكرّسين بحثوا ولا يزالون يبحثون عن طريق القداسة عبر التزامهم التربوي، ويرفعون القداسة شعاراً وهدفاً للتربية. والواقع أن الكثيرين منهم قد بلغوا كمال المحبة بصفتهم مربّين. تلك أثمن هدية يقدّمها الأشخاص المكرّسون للشبية، حتى في أيامنا، من خلال خدمة تربوية

235 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، التربية المسيحية، فقرة 8.

مفعمة بالحب، طبقاً لما أعرب عنه القديس يوحنا بوسكو في تنبيه حكيم: "لا يكفي أن نحبّ الشباب، بل يجب أن يعرفوا أننا نحبّهم"[236].

ضرورة التزام متجدّد للقطاع التربوي

97- على الأشخاص المكرّسين أن يبرهنوا، بكل لطف واحترام، ولكن بكل جرأة رسولية أيضاً، أن الإيمان بيسوع المسيح ينير كل القطاع التربوي، ولكن بدون تنكّر للقيم البشرية، بل بترسيخها وترقيتها. هكذا يصبح الأشخاص المكرّسون شهوداً وأدوات لقوة سرّ التجسّد وقدرة الروح. هذا العمل التربوي هو من أبلغ التعابير عن الأمومة التي تمارسها الكنيسة، على مثال مريم[237]، تجاه كل أبنائها.

ولذا حثّ المجمع الأشخاص المكرّسين وألح عليهم أن يستعيدوا الرسالة التربوية، بتصميم جديد، حيثما يمكن ذلك، في المدارس من مختلف الأهداف والمستويات، وفي جامعات ومعاهد التعليم العالي[238]. إني أتبنى هذه الإرادة السينودسية وأوصي أعضاء المؤسسات التربوية توصية ملحة أن يتمسكوا بموهبتهم الأصيلة وبتقاليدهم، مع العلم بأن إيثار الفقراء بالمحبة يصح خصوصاً في انتقاء الوسائل القادرة على تحرير الناس من البؤس الخطير الناجم عن ضعف التنشئة الثقافية والدينية.

نظراً إلى أهمية الجامعات والكليات الكاثوليكية والكنسية، في مجالات التربية والبشارة، يجب على المؤسسات المعنيّة بذلك أن تعي مدى مسؤوليتها وتسعى إلى صيانة الطابع الكاثوليكي الخاص والتمسك بالأمانة لعقيدة الكنيسة في هذه المؤسسات، مع الاستمرار في حوار ناشط مع الثقافة المعاصرة. وعلى أعضاء هذه المؤسسات والجمعيات أن يستعدّوا، حسب الظروف، للدخول في البنى التربوية التابعة للدولة. وأما أعضاء المؤسسات العلمانية فهي مدعوّة، بحكم دعوتها المميزة، إلى هذا النمط من المداخلات.

الإنجيل والثقافة: أنجلة الثقافة

98- لقد كان دوماً لمؤسسات الحياة المكرّسة أثر عميق في عمل التنشئة وتوريث الثقافة؛ وقد تمّ ذلك في العصر الوسيط، أيام أصبحت الأديرة محطات للوصول إلى الثروات الثقافية الموروثة من الماضي، وأتاحت الفرصة لتكوين ثقافة جديدة أنَسيّة ومسيحية. وقد تمّ ذلك كل مرة وصل نور الإنجيل إلى أمم جديدة. لقد ساهم أشخاص مكرّسون

---

236 كتابات تربوية وروحية، روما (1987)، ص 294

237 يوحنا بولس الثاني، الحكمة المسيحية (15 نيسان 1979)، 2: أعمال الكرسي الرسولي 71 (1979)، ص 471.

238 التوصية 41.

كثيرون في إنماء الثقافة ودرّسُوا غالباً الثقافات المحلية ودافعوا عنها. وتشعر الكنيسة اليوم شعوراً خاصة بضرورة المساهمة في تعزيز الثقافة، وإقامة الحوار بين الثقافة والإيمان[239].

لا يستطيع المكرّسون إلاّ أن يهتموا لهذه الحاجة الملّحة، لأنهم مدعوّون، هم أيضاً ليتمكنوا من إعلان كلام الله، إلى اختيار الأساليب الملائمة لحاجات الفئات والأوساط المهنية المتنوعة، فينتشر نور المسيح في جميع القطاعات البشرية، ويتمكّن بذار الخلاص من تغيير الحياة الاجتماعية من الداخل ويساعد في تكوين حضارة مجبولة بالقيم الإنجيلية[240]. عند عتبة الألف المسيحي الثالث، تستطيع الحياة المكرّسة أن تجدّد أيضاً، بفعل هذا الالتزام، استجابتها لإرادة الله الذي جاء ليلتقي كل من يتلّمس، بوعي أو بغير وعي، الحقيقة والحياة (رسل 27/17).

ولكن، بمعزل عن الخدمة المتاحة للآخرين، هناك أيضاً حاجة، داخل الحياة المكرّسة، إلى "**إعادة التمسك بالرهان الثقافي**"، والتفرغ للدرس، واتخاذه وسيلة تنشئة متكاملة، وطريقة في التروّض تماشي العصر مماشاة خارقة، تجاه الثقافات على أنواعها. تخفيض مستوى الالتزام الثقافي قد يستتبع نتائج باهظة تلحَق بالرسالة نفسها، وتبعث شعوراً بالتهمش والنقص، وتشجع السطحيّة والخفّة في المبادرات.

إذا اعتبرنا تنوّع المواهب والإمكانات الحقيقية التي تتمتع بها المؤسسات، لا يستطيع الالتزام الدراسي أن يقتصر على التنشئة الابتدائية والحصول على ألقاب أكاديمية ومهارات مهنية. الالتزام الدراسي إنما هو التعبير عن رغبةٍ لا ترتوي في الاستزادة من معرفة الله، غمر النور وينبوع كل حقيقة بشرية. هذا الالتزام لا يحتجز الشخص المكرّس ضمن عقلانية مجرّدة ولا يحتسبه في دائرة من النرسيسية الخانقة، بل يدفعه، بالعكس، إلى الحوار والمقاسمة، وينمي فيه حاسة التمييز ويحثه على التأمل والصلاة والبحث الدائم عن الله واكتشاف عمله في صميم العالم المعاصر وتضاعيف واقعه المعقد.

إذا انقاد الشخص المقدس لنعمة التجدّد بالروح أصبح أهلاً لأن يوّسع آفاق الرغبات البشرية الضيّقة ويدرك، في الوقت نفسه، أعماق كل إنسان ومراحل تاريخه، إلى ما هو أبعد من النواحي الظاهرة والعرضية. التحديات التي تنشأ في مختلف الثقافات هي اليوم أكثر من أن تحصى: من المهم إذن أن نقيم علاقات مثمرة مع الأوساط الجديدة أو الأليفة، تقليدياً، للحياة المكرّسة، وذلك بحاسةٍ نقدية مرهفة، ولكن مع ما يجب من الثقة بالذين يواجهون المعضلات الملتصقة بالعمل الفكري، وخصوصاً عندما يترتّب عليهم، بإزاء معضلات عصرنا المستحدثة، أن يُقدموا على تحليلات

---

239 يوحنا بولس الثاني، الحكمة المسيحية (15 نيسان 1979)، 2: أعمال الكرسي الرسولي 71 (1979)، ص 470.

240 التوصية 36.

جديدة وخلاصات جديدة[241]. لا يمكننا القيام ببشارة جدّية وملائمة في الأوساط الجديدة حيث تنشأ الثقافة وتورّث، من دون التعاون الفاعل مع العلمانيين الملتزمين العمل فيها.

في عالم الاتصالات الاجتماعية

99- كما أفلح الأشخاص المكرّسون، في الماضي، في التجنّد لخدمة الإنجيل، بما توفّر لهم من وسائل، وواجهوا بلباقة المعضلات القائمة، عليهم اليوم أيضاً أن يشهدوا للإنجيل بوسائل الاتصال الاجتماعي، بطريقة حديثة. هذه الوسائل تتمتع بقوة إشعاع عالمي، وبوسعها أن تصل إلى أقاصي الأرض بما لديها من قدرات تقنية هائلة. على الأشخاص المكرّسين، ولا سيما المعنيين بهذا القطاع بحافز موهبتهم التأسيسية، أن يمتلكوا معرفة جدية للغة التي تستعملها وسائل الاتصال هذه، فيتحدثوا عن المسيح، بطريقة مُقنعة، إلى الإنسان المعاصر، ويعبّروا "عن أفراحه وآماله، وأحزانه وضيقاته"[242]، ويساهموا هكذا في بناء مجتمع يشعر فيه الجميع أنهم إخوة وأخوات على الدرب المؤدي إلى الله.

ولكن ينبغي السهر على هذه الوسائل التي تتمتع بقدرة اقناعية خارقة، لئلا تنحرف عن أهدافها. ومن المفيد ألاّ نطمس المشكلات التي يمكن أن تنشأ عنها وتهدّد الحياة المكرّسة نفسها؛ ومن الأفضل أن نعالجها برويّة ودراية[243]. جواب الكنيسة يكتسي، على الأخص، طابعاً تربوياً، ويهدف إلى أن نعرف جيداً المخططات المبيّتة، ونقيّم البرامج تقييماً أدبياً متعقلاً، ونتبنى عادات سليمة في استعمالها[244]. في هذا السياق التربوي المعَدّ لتنشئة مستمعين فطنين وخبراء في الإعلام، يطلب من الأشخاص المكرّسين أن يؤدوا شهادتهم الخاصة في نسبيّة جميع الأمور المرئية، ويساعدوا أخوتهم في تقييمها في ضوء القصد الإلهي، في التحرّر أيضاً من صورة هذا العالم الزائل (1قور 31/7) وسطوته المستحوذة.

---

241 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **فرح ورجاء**، فقرة 5.

242 المرجع نفسه، فقرة 1.

243 مجمع مؤسسات الحياة المكرّسة وجمعيات الحياة الرسولية، الحياة الأخوية في الجماعة "حب المسيح جمعنا واحداً" 2 شباط 1994)، فقرة 34: الوثائق الكاثوليكية 91 (1994)، ص 420-421.

244 يوحنا بولس الثاني، رسالة في مناسبة اليوم العالم الثامن والعشرين لوسائل الإعلام (24 كانون الثاني 1994): الوثائق الكاثوليكية 91 (1994) ص 203-2015.

لا بدّ من أن نشجع كل الجهود المبذولة في هذا المضمار الخطير والجديد من مضامير الرسالة، لكي يُنادى بإنجيل المسيح عبر هذه الوسائل الحديثة. ولْتَتَأَهَّب المؤسسات على أنواعها للتعاون في تحقيق المشاريع المشتركة في مختلف قطاعات الاتصال الاجتماعي، بجنيد ما عندها من طاقات ووسائل وأشخاص. وعلى الأشخاص المكرّسين، وبخاصة أعضاء المؤسسات العلمانية، أن يهتموا بالمساهمة، في ضوء الحاجات الرعائية، في التنشئة الدينية للمسؤولين والعاملين في نطاق الاتصالات الاجتماعية العامة والخاصة، وذلك أولاً للحدّ من الأضرار الناجمة عن سوء استعمال الوسائل الإعلامية، وثانياً لتجويد نوعيّة البرامج الإذاعية التي يجب أن تحترم القاعدة الخلقية وتحفل بالقيم الإنسانية والمسيحية.

4- مسيرة الحوار مع الجميع

في خدمة وحدة المسيحيين

100- صلاة المسيح إلى أبيه، قبل آلامه، ليظل تلاميذه في الوحدة (يو 17/21-23)، تتواصل في صلاة الكنيسة وعملها. كيف يستطيع المدعوون إلى الحياة المكرّسة ألاّ يشعروا بهذه المسؤولية؟ جرح الفُرقة التي لا تزال قائمة بين المؤمنين بالمسيح وإلحاحية الصلاة والعمل لتعزيز الوحدة بين جميع المسيحيين أحسّ بهما السينودس إحساساً رهيفاً. هذا الحسّ المسكوني لدى الأشخاص المكرّسين يقوّيه اطّلاعهم على أن الحياة الرهبانية، في الكنائس والجماعات الكنسية الأخرى، لا تزال قائمة ومزدهرة، كما هي الحال في كنائس الشرق، وأن اعتناق المشورات الإنجيلية قد تجدّدت ممارسته كما هي الحال في الشركة الأنكليكانية أو في جماعات الإصلاح.

لقد أوضح السينودس العلاقة الوثيقة بين الحياة المكرّسة والقضية المسكونية وإلحاحية شهادة أقوى في هذا المجال. فبكون الصلاة والتوبة هما نبض العمل المسكوني[245] فلا شك أن مؤسسات الحياة المكرّسة وجمعيات الحياة الرسولية عليها واجب خاص في ممارسة هذا الالتزام. من الملحّ إذن أن يُفسَح مجالٌ أوسع، في حياة الأشخاص المكرّسين، للصلاة المسكونية والشهادة الإنجيلية الصحيحة، للتمكن، بقوّة الروح القدس، من هدم جدران الانقسامات والأوهام القائمة بين المسيحيين.

أشكال الحوار المسكوني

101- المشاركة في قراءة الكتاب المقدس، بحثاً عن الحقيقة، وفي الصلاة الجماعية حيث وعدنا المسيح حضوره (متى 18/20)، وحوار الصداقة والمحبة الذي يشعرنا كم هو طيب أن يعيش الأخوة معاً (مز 133/132)، والضيافة

[245] يوحنا بولس الثاني، **ليكونوا واحداً** (25 أيار 1995)، فقرة 21: أعمال الكرسي الرسولي 87 (1995) ص 934.

القلبية تجاه إخوة وأخوات من مختلف الجماعات المسيحية، والمعرفة المتبادلة وتبادل المواهب، والتعاون في مبادرات مشتركة تتوخى الخدمة والشهادة، كل هذه أشكال من الحوار المسكوني يرتضيها الله أب الجميع، ودلائل إرادة التقدّم معاً شطر الوحدة الكاملة، على طريق الحق والمحبة[246]. وكذلك معرفة التاريخ والعقيدة والليترجيا والعمل الإنساني والرسولي لدى المسيحيين الآخرين لا تخلو من أن تُنشِّط العمل المسكوني وتزيده دفعاً[247].

بوّدي أن أشجع المؤسسات التي، بوحي طابعها القديم، أو بحافز دعوات لاحقة، تدأب في تعزيز وحدة المسيحيين، وتجنّد لذلك برامج دراسة ونشاط عملي. والواقع أن ليس من مؤسسة حياة مكرّسة يسوغ لها أن تستعفي من واجب السعي لهذه القضية. وبالإضافة إلى ذلك، إني أفكّر في الكنائس الشرقية الكاثوليكية، واتمنى لها أن تساهم في الوحدة مع الكنائس الأرثوذكسية، وبخاصة عبر الحياة الرهبانية للرجال والنساء التي نطلب لها دائماً نعمة النموّ. هذه المساهمة تتحقق في حوار المحبة وفي تقاسم الروحانية المشتركة، وهي تراث كنيسة الألف الأول، قبل انقسامها.

إني أكِل إلى أديرة الحياة التأملية، بوجه خاص، العمل المسكوني الروحي النابع من الصلاة وتوبة القلب والمحبة. ولهذا الغرض أشجع وجودها في المناطق التي تعيش فيها جماعات مسيحية من مختلف المذاهب، لكي يكون تكرّسها الكامل لما هو "المطلب الوحيد" (لو 42/10)، ولعبادة الله والشفاعة لأجل خلاص، مع شهادتها للحياة الإنجيلية بحسب مواهبها الخاصة، باعثاً للجميع على أن يعيشوا، على صورة الثالوث، الوحدة التي أرادها يسوع وطلبها من أبيه لجميع تلاميذه.

الحوار بين الأديان

102- بسبب كون "الحوار بين الأديان جزءاً من الرسالة البشروّية في الكنيسة"[248] لا يسوغ لمؤسسات الحياة المكرّسة أن تستعفي من مسؤولياتها في هذا المجال أيضاً، تضطلع بها كل مؤسسة بموجب موهبتها وفي التقيّد بتوجيهات السلطة الكنسية. أول شكل من أشكال البشارة الموجهة لأخوة لنا وأخوات من دين آخر، إنما هو مجرّد شهادة حياة فقيرة ومتواضعة وعفيفة يداخلها حبّ أخويّ شامل. ثم إن ما يميّز الحياة المكرّسة من حرّية فكريّة يشجع "حوار الحياة"[249]، حيث ينطبق نموذج أساسي من نماذج الرسالة وإعلان إنجيل المسيح. وتدعيماً لتبادل المعرفة والاحترام

---

246 المرجع نفسه، فقرة 28: الموضع المشار إليه، ص 938-939.

247 التوصية 45.

248 يوحنا بولس الثاني، **رسالة الفادي** (7 كانون الأول 1990)، فقرة 55: أعمال الكرسي الرسولي 83 (1991)، ص 302.

249 المجلس الحبري للحوار بين الأديان ومجمع تبشير الشعوب، حوار وبشرى (19 أيار 1991)، فقرة 42، أ: أعمال الكرسي الرسولي 84 (1992)، ص 428.

والمحبة، بإمكان المؤسسات الرهبانية أن تواصل **أيضاً أشكالاً مناسبة من الحوار** مطبوعة بطابع الصداقة القلبية والصراحة المتبادلة، مع أوساط رهبانية في الديانات الأخرى.

التعاون مع رجال ونساء لهم تراثات دينية مختلفة يلقى مجال عمل آخر في **الاهتمام المشترك بالحياة البشرية،** يتراوح بين الرأفة بالعذاب المادي والروحي والتطوّع لقضايا العدالة والسلام والحفاظ على الخليقة. في هذه القطاعات، يعود إلى مؤسسات الحياة العملية خصوصاً أن تسعى للاتفاق مع أتباع ديانات أخرى في "حوار الأعمال"[250] الذي يفسح المجال لمشاركة أعمق.

السعي لتعزيز كرامة المرأة هو أيضاً نطاق خاص للقاء ناشط مع أتباع تقاليد دينية أخرى. في نظرية المساواة والتعادل والمنصف بين الرجل والمرأة، تستطيع النساء المكرّسات خصوصاً أن يضطلعنّ بخدمات مفيدة[251].

هذه الأنماط من التطوّع الرهباني وتجنّد الأشخاص المكرّسين للحوار بين الأديان يتطلب، من جملة ما يتطلب، استعداداً مناسباً أثناء التنشئة الابتدائية والتنشئة الدائمة، وكذلك بالدرس والبحث[252]، وذلك بأن هذا القطاع الشائك يقتضي معرفة راسخة للمسيحية وللديانات الأخرى كما يقتضي أيماناً راسخاً ودرجة جيدة من النضج الروحي والإنساني.

جواب روحي لمن يفتّشون عن الحقيقة القدسية ومن يتشوّقون الله

103- إن الذين يعتنقون الحياة المكرّسة، رجالاً ونساءً، هم، بطبيعة اختيارهم، من أساطين البحث عن الله الذي ما زال يحرّك قلب الإنسان منذ القدم، ويقوده في الكثير من دروب الزهد والتصوّف. هذا البحث يظهر اليوم، في غير منطقة من مناطق العالم، بمثابة ردّ بليغ على الثقافات التي تنْزع إلى تهميش الناحية الدينية في الوجود، إن لم تنْزع دائماً إلى انكارها.

الأشخاص المكرّسون الذين يمارسون، بطريقة كاملة ومتماسكة، عهودهم التي قطعوها بملء حريتهم، بإمكانهم أن يلبّوا تطلعات معاصريهم، ويجنّبوهم اللجوء إلى حلول زائفة، تنفي غالباً تجسّد المسيح المخلّص (1يو 4/2-3)، كالحلول التي تقدّمها البدع مثلاً. إذا مارس المكرّسون من التزهّد الفردي و الجماعي ما ينقّي ويبدّل كل حياتهم، فهم

---

250 المرجع ذاته، فقرة 42، ب.

251 التوصية 46.

252 المجلس الحبري للحوار بين الأديان ومجمع تبشير الشعوب، حوار وبشرى (19 أيار 1991)، فقرة 42، ج: أعمال الكرسي الرسولي 84 (1992)، ص 428.

يتصدّون بذلك لإغراءات الأنانية والشهوانية ويقيمون الدليل على ما هنالك من أساليب البحث الصحيح عن الله، ويناشدون الناس ألاّ يخلطوا بين البحث عن الله والبحث المضلّ عن الذات أو الهروب شطر المعارف الزائفة. كل شخص مكرّس ملزمٌ بأن يكوّن في ذاته الإنسان الباطن الذي لا يهرب من التاريخ ولا ينطوي على ذاته. فإذا عاش منصتاً وطيّعاً للكلمة التي تقوم الكنيسة على حراستها وتفسيرها، وجد الناس في سرّ الثالوث وفي المسيح المحبوب إلى أقصى حدود الحب، أعمق ما يصبو إليه القلب البشري، وغاية كل مسيرة دينية مخلصة في انفتاحها على الله.

ومن ثم، فعلى الأشخاص المكرّسين أن يستقبلوا بكثير من الحفاوة ويرافقوا روحياً من يقصدونهم وفي قلبهم عطش إلى الله ورغبة في الانقياد لمقتضيات الإيمان[253].

[253] التوصية 47.

الخاتمة

نبض العطاء المجاني

104- كثيرون يتساءلون اليوم بارتباك: لماذا الحياة المكرّسة؟ لماذا اعتناق هذا النمط من الحياة بينما الحاجات كثيرة وملحّة في مجالات المحبّة والبشارة نفسها التي يمكن تلبيها بدون التقيّد بالتزامات الحياة المكرّسة؟ أوليست الحياة المكرّسة ضرباً من "التبذير" لطاقة بشريّة يمكن استعمالها، طبقاً لموازين الفعالية، لما يعود على الكنيسة والبشرية بفائدة أعظم؟

هذه الأسئلة المتواترة في عصرنا، مصدر ثقافة نفعية وتقنوقراطية تنْزع إلى قياس أهمية الأشياء، بل الأشخاص، بمقياس منفعتها الفوريّة. ولكن هذه التساؤلات طُرِحَت دائماً، بدليل حادثة التطييب في بيت عنيا وما ورد عنها في الإنجيل: "تناولت مريم حُقة طيب من النردين الخالص غالية الثمن، ودهنت قَدَمَيْ يسوع ثم مسحتهما بشعرها فعبق البيت بالطيب (يو 3/12)، فاشتكى يهوذا من هذا التبذير محتجّاً بحاجة الفقراء. فأجابه يسوع: "دعها!" (يو 7/12).

هذا الجواب لا يزال ينطبق على السؤال الذي يطرحه الكثيرون، بخلوص نية، في فائدة الحياة المكرّسة اليوم: أفلا يمكن تجنيدها، بوجه أفعل وأعقل، لتحسين المجتمع؟ هذا جواب يسوع: "دعها!".

في نظر من يتلقّى العطية التي لا ثَمَنَ لها، عطية اتباع الرب يسوع عن كثب، يبدو بديهياً أنه يمكن، بل يجب أن نحبّه بقلب غير منازع، ونحرّر له كل حياتنا، وليس بعضاً من مآتينا وأوقاتنا وأعمالنا وحسب. الطيب الثمين الذي نسكبه فعلَ حب خالص، وبمعزل من ثم عن كل اعتبار "منفعي" إنما هو دليل **مجانيّة فائضة**، وعبارة حياة مبذولة في حبّ الرب وخدمته، وموقوفة لشخصه ولجسده السرّي. هذه الحياة التي "نسكبها" بلا حساب تنشر طيباً يعبق به البيت كله. واليوم كالأمس بيت الله أي الكنيسة، تزيّنه الحياة المكرّسة وتُثريه.

الشخص الذي يستهويه، في سرّ قلبه، جمال الرب ولطفه، يرى في ما يحسبه الناس تبذيراً جواب حب واضح، ويشعر بامتنان لاهب لكونه حُسبَ أهلاً، بطريقة مميّزة، لمعرفة الابن والاشتراك في رسالته الإلهية في العالم.

"لو عرف واحد من أبناء الله وذاق الحبّ الإلهي، الإله غير المخلوق، الإله المتجسّد، الإله المشغوف، الخير الأسمى، لأعطِيَ كلَّ شيء، وتجرّد لا من الخلائق الأخرى وحسب، بل من ذاته أيضاً، ولأحبّ إلهَ الحب هذا بكل كيانه، ولتحوّل كلُّه إلى هذا الإله – الإنسان، المحبوب فوق كل شيء"[254].

الحياة المكرّسة في خدمة ملكوت الله

105- "ما كان جرى للعالم، لولا الرهبان؟"[255]. أهمية الحياة المكرّسة، بمعزل عن الاعتبارات السطحيّة المنفعيّة، تنبع من كونها، بالضبط، **فيض مجانية وحب**، وهي كذلك بمقدار ما يتعرّض العالم للاختناق بزوبعة الفانيات. "بدون هذه العلامة الحسيّة، قد تتعرّض الكنيسة في جملتها للتجمّد، وصلابة المنطق الإنجيلي المخلّص للتثلّم و"ملح" الإيمان للذوبان في عالم على طريق التعملن"[256]. حياة الكنيسة بل المجتمع نفسه بحاجة إلى أشخاص أهلٍ للتكرّس كلياً لله وللآخرين حبّاً بالله.

لا تستطيع الكنيسة، ولا بوجه من الوجوه، أن تتخلّى عن الحياة المكرّسة، وذلك بأن هذه **الحياة تعبّر بطريقة بليغة عن طبيعتها "العُرسيّة" الحميمة**. بفضلها تكتسب بشارة الإنجيل، في العالم كله، انطلاقة جديدة وعزماً جديداً. نحن بحاجة إلى أشخاص يُظهرون وجه الله الأبوي ووجه الكنيسة الأم، ويخاطرون بحياتهم لينعم آخرون بالحياة والرجاء. في الكنيسة لا بدّ من أشخاص مكرّسين يقبلون، قبل أن يتطوّعوا في خدمة قضيّة نبيلة، بأن يتحوّلوا بنعمة الله ويعتنقوا الإنجيل اعتناقاً كاملاً.

الكنيسة كلّها قد تلقت في يديها هذه العطية الكبرى، وهي تسعى، بروح الشكر، إلى تعزيزها بما يجب من التقدير، بالصلاة وبالدعوة الصريحة إلى قبولها. يهمّ الأساقفة والكهنة والشمامسة أن يقتنعوا بهذا النمط من الحياة وسمّوه الإنجيلي ويجدّوا في اكتشاف بذار الدعوات ودعمها بالوعظ والتمييز ومرافقة روحية حكيمة. ويُطلب من جميع المؤمنين أن يصلّوا، بلا ملل، لأجل الأشخاص الكرّسين لكي تزداد دوماً حرارتهم وطاقة حبّهم فيساهموا في نشر شذا المسيح الطيّب في المجتمع المعاصر. الجماعة المسيحيّة كلها، الرعاة والعلمانيون والأشخاص المكرّسون، مسؤولة عن الحياة المكرّسة، وعمّا يجب أن تُحَوَّط به الدعوات الجديدة من حفاوة ودعم[257].

---

[254] الطوباوية انجيل دي فولينيو، كتاب الطوباوية انجيل دي فولينيو، غروتافيراتا (1985)، ص 683.

[255] القديسة تريزيا أمة يسوع، كتاب الحياة، الفصل 32، 11.

[256] بولس السادس، **الشهادة الإنجيلية** (29 حزيران 1971)، فقرة 3: أعمال الكرسي الرسولي 63 (1971) ص 498.

[257] التوصية 48.

إلى الشباب

106- أقول لكم، أنتم الشباب: إذا سمعتم نداء الرب فلا تردّوه، بل تشجّعوا واجعلوا انفسكم في عمق تيارات القداسة التي أطلقها قديسون وقدّيسات في خطى المسيح. غَذُّوا في ذواتكم ما تحفل به سِنُّكم من تطلعات مميّزة، ولكن اعتنقوا بلا تردد قصد الله فيكم، إذا دعاكم إلى التماس القداسة في الحياة المكرّسة. تأملوا في جميع عجائب الله في العالم ولكن اشخصوا بأبصاركم إلى الأمور الموعودة بالخلود.

الألف الثالث ينتظر رفد الإيمان والإبداع من جمهور كبير من الشبّان المكرّسين، لكي يصبح العالم أكثر صفاءً وأكثر استعداداً لاستقبال الله ومعه جميع أبنائه وبناته.

إلى العيل

107- أتوجه إليكِ، أيتها العيل المسيحيّة! أنتم الأهل، اشكروا الربّ إذا دعا واحداً من أبنائكم إلى الحياة المكرّسة. يجب أن نفتخر كل الإفتخار، كما تثبت العادة دائماً، بأن يحط الرب نظره على أسرةٍ ويختار أحد أعضائها ليسلك طريق المشورات الإنجيلية. احتفظوا بالرغبة في أن تهدوا الرب أحد أبنائكم لإنماء حبّ الله في العالم. وهل أجمل من هذه الثمرة من ثمرات الحب الزوجي؟

وينبغي أن نتذكر أن الشاب أو الشابة، إذا لم يمارس الأهل القيم الإنجيلية، لن يتمكنا، إلّا بمشقة، من أن يسمعا النداء ويستوعبا ضرورة القبول بالتضحيات، ويؤخذا بروعة الهدف المنشود. ولا شك أن الأسرة هي للشبيبة أول مختبر للقيم الإنجيلية والمحبة المهداة لله وللآخرين. ويجب أيضاً أن يتعلّموا استعمال حريتهم بطريقة مسؤولة، ليضيروا أهلاً لأن يعتنقوا، حسب دعوتهم، أسمى الحقائق الروحيّة.

إني أدعو لكِ، أيتها العيل المسيحيّة، المتّحدة بالرب بالصلاة وممارسة الأسرار، لتصبحي موطناً لاستقبال الدعوات.

إلى الرجال والنساء ذوي الإرادة الحسنة

108- إلى جميع الرجال والنساء الذين يودّون سماعي أودّ أن أوجّه هذا النداء: فتّشوا عن الدروب التي تقودكم إلى الله الحيّ والحقيقي، وبخاصة الدرب التي ترسمها الحياة المكرّسة. الأشخاص المكرّسون يشهدون أن "كل من اتبع

المسيح، الإنسان الكامل، يزداد إنسانية هو أيضاً"[258]. ولكم من بينهم انحنوا ولا يزالون ينحنون، كالسامري الرحيم، على ما لا يُحصى من جروح إخوتهم وأخواتهم الذين يلتقونهم على دروب الحياة.

أنظروا إلى هؤلاء الأشخاص الواقعين في إسار المسيح، الذين يسيطرون على ذواتهم ويجدون في نعمة الله ومحبتهم له ما يمكّنهم من تقديم العلاج المعتق من شهوة الامتلاك والتنعّم والاستبداد. لا تنسوا المواهب التي كوّنت روائع "الباحثين عن الله" والمحسنين إلى البشرية، الذين افتتحوا طرقاً آمنة للباحثين عن الله بقلب خالص. تأمَّلوا الحشد الغفير من القديسين الذين ازدهروا في هذا النمط من العيش، تأملوا الفائدة التي عادوا بها على العالم، أمسِ واليوم، هؤلاء الذين قرَّبوا ذاتهم لله. أليس عالمنا بحاجة إلى شهودٍ فرحين وأنبياء ينادون بمحبّة الله وقدرتها الخيّرة؟ أليس بحاجة أيضاً إلى رجال ونساء بإمكانهم أن يزرعوا، بحياتهم وعملهم، بذار سلام وأخوّة؟[259].

إلى الأشخاص المكرّسين

109- ولكني إليكم خصوصاً، أيها النساء والرجال المكرّسون، أوجه ندائي واثقاً، في ختام هذا الإرشاد: عيشوا ملء تقدمتكم لله، لكي لا يُحرم هذا العالم شعاع البهاء الإلهي الذي ينير طريق الوجود البشري. المسيحيون الغائصون في مشاغل هذا العالم وهمومه، والمدعوّون، مع ذلك، هم أيضاً إلى القداسة، هم بحاجة إلى أن يجدوا فيكم قلوباً مُطَهَّرة "ترى" الله في الإيمان، ونفوساً طيّعة لعمل الروح القدس، تسير بنشاط وأمانة لموهبة دعوتها ورسالتها.

تعلمون جيداً أنكم نهجتم طريق توبة متواصلة وعطاء مطلق لمحبّة الله وإخوتكم، لتشهدوا للنعمة التي تجدّد الوجود المسيحي شهادة أجمل فأجمل. العالم والكنيسة يفتّشان عن شهود للمسيح حقيقيين. والحياة المكرّسة هي نعمة من الله يمنّ بها علينا، لكي نُظهِر أمام عيون الجميع "الحاجة الضروريّة الوحيدة" (لو 42/10). الحياة المكرّسة، في الكنيسة وفي العالم، هدفها المميّز أن تشهد للمسيح بالسيرة والأعمال والكلام.

تعرفون من هو متَّكلكم (2 طيم 12/1): أعطوه كل شيء! الشباب لا يخدعون: فإذا قصدوكم فإنما يريدون أن يروا فيكم ما لا يرونه عند غيركم. إنكم تحملون مسؤولية باهظة للغد: حديثو التكرّس خصوصاً بإمكانهم، إذا شهدوا لتكرّسهم، أن يهيبوا بمعاصريهم إلى تجديد حياتهم[260]. محبّة يسوع المسيح الملتهبة تجذب بقوةٍ الشباب الآخرين

---

[258] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **فرح ورجاء**، فقرة 41.

[259] بولس السادس، **الشهادة الإنجيلية** (29 جزيران 1971)، فقرة 53: أعمال الكرسي الرسولي 63 (1971)، ص 524؛ البشارة بالإنجيل (8 كانون الأول 1975) فقرة 69: أعمال الكرسي الرسولي 68 (1976)، ص 59.

[260] التوصية 16.

الذين يدعوهم الرب، في لطفه، إلى اتباعه عن كثب وحتى النهاية. رجال عصرنا يودّون أن يصيبوا، في الأشخاص المكرّسين، الفرح الذي يوجسونه بمعيّة الرب.

أيها المكرّسون، القدامى والمحْدَثون، عيشوا في الأمانة للعهد الذي قطعتموه للرب، وابنوا بعضكم بعضاً وساندوا بعضكم بعضاً. بالرغم من المصاعب التي ربما تكون قد اعترضتكم، وبالرغم من قلّة التقدير للحياة المكرّسة في بعض أوساط الرأي العام، لديكم رسالة: ناشدوا ثانية رجال ونساء عصرنا أن يتطلعوا إلى فوق ولا يُستَغْرقوا في المهامّ اليوميّة، بل يُشغفوا بالله وبإنجيل ابنه. لا تنسوا أبداً أنكم، أنتم خصوصاً، قادرون بل ملزمون أن تعلنوا أنكم لستم فقط من أتباع المسيح، بل أنكم "أصبحتم المسيح"[261].

نظرة إلى الأمام

110- ليس عليكم أن تتذكروا وتووا تاريخاً مجيداً وحسب، بل **عليكم أن تبنوا تاريخاً عظيماً**. انظروا إلى الأمام، حيث الروح يرسلكم ليصنع معكم عجائب.

أعزائي الرجال والنساء المكرّسين، اجعلوا من حياتكم فترة انتظار حارّ للمسيح، واذهبوا للقائه كالعذارى الحكيمات الذاهبات للقاء العريس. كونوا دوماً مستعدين، أمناء للمسيح وللكنيسة ولمؤسَّستِكم ولإنسان عصرنا[262]. هكذا يُجدِّدكم المسيح، يوماً بعد يوم، لبناء جماعات أخويّة بمعاضدة روحه، ولغسل أقدام الفقراء، ولتأدية مساهمتكم التي لا بديل منها في تحويل العالم.

عسى العالم الموكول إلى أيدي البشر، والداخل في الألف الجديد، يتنامى، يوماً بعد يوم، في الإنسانية والعدالة، ويصبح علامة واستباقاً للعالم الآتي، حيث الرب المتواضع والممجّد، الفقير والمعظّم يكون فرحاً كاملاً ودائماً لنا ولإخوتنا وأخواتنا مع الآب والروح القدس.

دعاء إلى الثالوث

111- أيها الثالوث القدوس، السعيد والمسعِد، املأ سعادةً أبناءك وبناتك الذين دعوتهم لإعلان عظمة حبك ولطفك وشفقتك وجمالك.

---

[261] القديس أوغسطينوس، تفسير إنجيل يوحنا، 21، 8: الآباء اللاتين 35، 1568.

[262] مجمع الرهبان والمؤسسات العلمانية، الرهبان والترقية البشرية (12 آب 1980)، فقرة 13-21: الوثائق الكاثوليكية 78 (1981)، ص 165-174.

أيها الآب القدوس قدّس أبناءك وبناتك الذين تكرّسوا لك، لمجد اسمك. أعضدهم بقدرتك ليشهدوا أنك مصدر كل شيء والمعين الأوحد للحب والحريّة. نشكر لك عطية الحياة المكرّسة التي تلتمسك في الإيمان، وفي رسالتها الجامعة، تدعو البشرية كلّها للتقدم نحوك.

يا يسوع المخلّص، الكلمة المتجسّد، لقد وهبت الذين دعوتهم طريقة حياتك. فاستمرّ في أن تجتذب إليك أشخاصاً يكونون، لبشرية عصرنا، مستودعَ رحمتك، وبُشَرَاءَ عودتك وعلاماتٍ حيّةً لخيرات القيامة الآتية. لا يفصلنّهم عنك وعن حبك محنة!

أيها الروح القدس، الحب الفائض في قلوبنا، والمانح النفوس نعمة وهدياً، الينبوع الأبدي لكل حياة، ومكمّل رسالة المسيح بوافر مواهبك، نبتهل إليك لأجل جميع المكرّسين، إملأ قلوبهم من اليقين الباطن بأنك اصطفيتهم للحب والتسبيح والخدمة. ذوّقهم صداقتك واملأهم فرحك وتعزيتك، ساعدهم في تخطي المراحل الصعبة والنهوض من كبواتهم نهوضاً واثقاً، واجعلهم مرآة تعكس الجمال الإلهي. أعطهم من الشجاعة ما يمكّنهم من مواجهة تحديات عصرنا، ومن النعمة ما يجعلهم يقدّمون للناس ما تحلّى له يسوع المسيح المخلّص من لطف وإنسانية.

دعاء إلى العذراء مريم

112- يا مريم، صورة الكنيسة العروس المنزّهة عن كل غصن وعيب والتي، يتشبّهها بك، "تحفظ، في نقاوة عذريّة، الإيمان كاملاً والرجاء راسخاً والمحبة خالصة"[263]. أعضدي الأشخاص الكرّسين المشدودين إلى السعادة الوحيدة والأبدية.

إننا نكلهم إليك، يا عذراء الزيارة، لكي يسارعوا إلى لقاء الناس. علّميهم أن يعلنوا العجائب التي يصنعها الرب في العالم، لتُجمِعَ الأمم كلها على تمجيد اسمه. أعضُديهم في عملهم لأجل الفقراء، والجائعين واليائسين والمتواضعين وكل الذين يلتمسون ابنك بقلب مخلص.

أيتها الأم التي تريد أن يتجدَّد أبناؤها وبناتها، روحياً ورسولياً، بجواب حبٍ وتقدمة كاملة للمسيح، نتضرّع إليك بثقة، يا من عملَتْ بمشيئة الآب، حثيثة في الطاعة، جريئة في الفقر، رحبة الصدر في بتوليتها الخصيبة، اطلبي من ابنك الإلهي للذين نالوا موهبة اتّباعه في الحياة المكرّسة، أن يشهدوا له بحياة منوّرة، ويتقدموا فرحين مع سائر إخوتهم وأخواتهم، صوب الوطن السماوي والنور الذي لا يغرب.

---

[263] المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **نور الأمم**، فقرة 64.

نسألك ذلك لكي يُمجَّد في الجميع وفي كل شيس ويبارَك ويُحبَّ الربُّ الأسمى فوق كل الخلائق، الآب والابن والروح القدس.

صدر في روما، بقرب كنيسة القديس بطرس، في 25 آذار 1996، بمناسبة الاحتفال بعيد بشارة الرب في السنة الثامنة عشرة من حبريّتنا.

يوحنا بولس الثاني